روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
مري جدا!!

العاصفة

131

الجزء الأول

د. نبيل فاروق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٨٦١١٩٧
فاكس : ٢٨٣٧٠٠٢

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ - هدوء الموت ..

ساد هدوء عجيب تلك المنطقة من صحراء (مصر) الغربية ، التى لم يمتدّ إليها العمران بعد ، على الرغم من المنجزات الهائلة ، التى شهدتها نهايات القرن العشرين ، وبدايات القرن الحادى والعشرين ، وبدا للناظر وكأنها منطقة مهجورة ، تخلو من كل أثر للحياة ، حتى تلك التى تقتصر على حيوانات الصحارى الدنية ، وحشراتها الصلبة العديدة ..

ثم فجأة ، اقتحم ذلك الهدوء أزيز قوى ، راح يتصاعد ، ويرتفع بسرعة مدهشة ، قبل أن تبرز فى الأفق ، من منبت الشروق ، ثلاث حوّامات ، بدت كوحوش ضارية ، تنقضّ محطمة الهدوء ، من قلب قرص الشمس ، الذى برز ضخمًا ملتهبًا ..

وانقلب حال المنطقة البكر رأسًا على عقب ، وتطايرت الرمال فى عنف ، مع دورة مراوح الحوّامات الضخمة ،

وتعالى الأزيز ليبلغ حدًا كبيرًا ، وانخفضت الحوّامات ، لتستقر على رمال الصحراء ، في نفس الوقت الذى اكتمل فيه قرص الشمس في الأفق ، وراح يتخلّى رويدًا رويدًا عن ألوانه الملتهبة ، ليكتسب صفرة هادئة ، والأشعة الذهبية تغمر المكان كله ، وتنعكس بتألقات مدهشة ، على الأجسام المعدنية للحوامات الثلاث ..

وفي توتر .. التقطت الدكتورة (ليلى) نفسًا عميقًا ، وهى تغادر حوّامتها ، قائلة :

- يا له من فراغ مخيف ؟! لماذا اخترتم هذه البقعة بالذات ؟!

أجابها زميلها الدكتور (إسحاق) في هدوء :

- إننا لم نختر شيئًا .. الأقمار الصناعية الاستكشافية هى التى تولّت هذا .

انضمّ إليهما باقى أفراد الفريق العلمى ، وقالت الدكتورة (مارى) في اهتمام شديد :

- أأنتم واثقون من أنها نفس البقعة ، التى سجلتها الأقمار ؟!

أجابها الدكتور (خالد) ، رئيس الفريق :

- بكل تأكيد .. لا يمكن حدوث أية أخطاء ، مع بحث إليكترونى دقيق كهذا .

ثم أشار بيده إلى المنطقة ، مستطردًا :

- الصور كلها تؤكّد أن هذه المنطقة بالتحديد قد استقبلت ، منذ ملايين السنين ، واحدًا من أكبر النيازك ، التى نجحت في اختراق غلافنا الجوى ، والارتطام بكوكبنا ، وأن ذلك النيزك مدفون تحت ثلاثين مترًا من الرمال والصخور ، ولولا وسائل التصوير والبحث المتقدّمة ، التى اعتمدت على قياس كثافة القشرة الأرضية ، لما تم كشفه قط .

تابعت الدكتورة (ولاء) ، أصغر أفراد الفريق ، ذلك النشاط البالغ ، الذى امتدّ إلى المنطقة كلها ، دون أن تشارك زملاءها في حديثهم العلمى ، مع انشغالها بما بدا لها وكأنه قمة النظام والتنسيق ، في العالم أجمع ..

فما إن هبطت الحوامات الثلاث ، حتى اندفع منها حشد من الرجال والمعدات ، وراح الكل يعمل فى سرعة مدهشة ، لتركيب الخيام المكيفة ، وإعداد الأجهزة الحديثة ، وتنسيق أماكن العمل ومواقع البحث ، كما لو أن كل مخلوق يعرف عمله ومهمته بدقة بالغة ..

وفى أعماقها ، شعرت بمزيج من الانبهار والخوف والقلق ..

الانبهار بتلك التكنولوجيا المدهشة ، التى تتيح لعالمة (جيولوجيا) شابة مثلها أن تفحص جسمًا يختفى تحت ثلاثين مترًا من الرمال ، دون أن تضطر لحفر سنتيمتر واحد منها ..

والخوف من تلك الصحراء ، التى تمتدّ حولها إلى مدى البصر ، فى كل الاتجاهات ..

الصحراء التى لم تلتق بها وجهًا لوجه ، إلا اليوم فقط ..

أساليب الدراسة التماثلية الإليكترونية الحديثة ،

لم تضطرها قط للتواجد فى مناخ صحراوى حقيقى ، ما دام الكمبيوتر يمكنه محاكاة كل الأجواء والتضاريس بدقة مدهشة ، تجعلك تشعر وكأنك هناك بالفعل ..

أو أن هذا ما كانت تتصوّره ..

حتى هذه اللحظة ..

المواجهة الحقيقية جعلتها تُدرك أن المحاكاة شىء ، والواقع شىء آخر .

تمامًا ..

لقد جابت برامج محاكاة الصحارى أكثر من خمسين مرة ..

ولكنها لم تشعر قط بذلك القلق ، الذى تشعر به ، وهى تواجه صحرَاء حقيقية ..

صحراء تبعث فى نفسها رهبة عجيبة ، وقلقًا مبهمًا ، لا يستند إلى أية افتراضات أو استنتاجات علمية صحيحة ..

« الرجال سينتهون من إعداد كل شىء ، خلال نصف الساعة القادمة .. »

انتزعتها عبارة الدكتور (خالد) من شرودها ، فالتفتت إليه قائلة :

- هل نبدأ عملنا على الفور ؟!

حملت عبارتها كل عصبيتها وتوترها ، دون أن تقصد هذا ، فتبادل الجميع ابتسامة مشفقة ، وربتت الدكتورة (مارى) على ظهرها فى حنان ، قائلة :

- اطمئنى .. ستعتادين هذا بسرعة .

ارتبكت الدكتورة (ولاء) ، وهى تغمغم :

- كنت أسأل عن ...

قاطعها الدكتور (إسحاق) بابتسامة هادئة :

- نعم .. ما إن ينتهوا من إعداد كل شىء ، حتى نبدأ على الفور .

سأله الدكتور (خالد) فى اهتمام :

- كم سيستغرق هذا فى رأيك ؟!

هزّ الدكتور (إسحاق) كتفيه ، وقال :

- لم أستخدم هذه الأجهزة الحديثة من قبل قط ، ولكن الدراسات تقول ، إنها تعتمد على اختراق المواد المتماثلة ، بموجة من الأشعة ، التى ترتد بمجرَّد الاصطدام بجسم يختلف عن مادة الاختراق ، فى عناصره ، أو كثافته النوعية ، وبإمكانها استخدام التحليل الطيفى حينذاك ، لتحديد هويته وتكوينه .

سألته الدكتورة (ليلى) :

- وماذا لو أن ذلك الجسم مجرَّد صخرة عادية ؟!

أجابها بهدوء واثق :

- عندئذ يمكنك إعادة برمجة الموجة ، لتعود إلى اختراق ذلك الجسم أيضًا ، مع كل المواد المشابهة له فى التركيب ، والتوقُّف مرة أخرى عند أوَّل جسم جديد مختلف .

غمغم الدكتور (خالد) :

- فكرة عبقرية .

أشار الدكتور (إسحاق) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ وبسيطة أيضًا ، ولكن كان على العالم أن ينتظر ، حتى تتطوَّر أجهزة الفحص الإشعاعى ، ليصبح تنفيذها ممكنًا .

همَّ الدكتور (خالد) بالتعليق ، لولا أن اتجه نحوه رجل فى زى عسكرى ، وأدَّى التحية العسكرية ، قائلاً :

ـ معدَّات المراقبة جاهزة للعمل .

أشار إليه الدكتور (خالد) ، قائلاً :

ـ ابدأ إذن .

أدى الرجل التحية العسكرية مرة أخرى فى قوة ، ثم دار حول نفسه ، وعاد إلى حيث يقف زميلان له ، لينفذ الأوامر ، فغمغمت الدكتورة (ولاء) فى عصبية :

ـ أكان من الضرورى أن يصحبنا العسكريون إلى هنا ؟!

أجابها الدكتور (خالد) فى هدوء :

ـ الأجهزة التى نستخدمها حديثة وغالية الثمن ، و ...

صمت بضع لحظات ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ وسرية .. للغاية .

بدت الدهشة على وجوه الآخرين ، وهم يتبادلون نظرة متوترة ، قبل أن تسأله الدكتورة (مارى) فى عصبية :

ـ ولماذا يندرج أى جهاز علمى تحت قائمة السرية البالغة ؟! إنه ليس سلاحًا عسكريًّا ..

ثم امتقع وجهها ، وهى تضيف ، بصوت ملؤه الذعر :

ـ أليس كذلك ؟!

صمت الدكتور (خالد) فترة أطول هذه المرة ، فتبادل العلماء نظرة هلعة هذه المرة ، قبل أن يسأل الدكتور (إسحاق) فى حذر :

ـ قل لى يا دكتور (خالد) : هل لعملك فى إدارة الأبحاث ، التابعة للمخابرات العلمية ، أى شأن بهذا الأمر ؟!

انعقد حاجبا الدكتور (خالد) فى صرامة ، لم يعتدها منه رفاقه ، وأشاح بوجهه فى صمت استغرق ما يزيد على دقيقة كاملة هذه المرة ، فشحب وجه الدكتورة (ولاء) بشدة ، وراح قلبها يخفق فى قوة ، فى حين هتفت الدكتورة (ليلى) فى عصبية بالغة :

- لابد أن نعلم .

أجابها الدكتور (خالد) فى صرامة ، دون أن يعيد وجهه إليهم :

- أعتقد أنه حقك .. حقكم جميعًا .

ودار بصره فى المعدات التى يتمّ تجهيزها ، وتوقّف لحظة عند العسكريين الثلاثة ، الذين يتابعون أجهزة المراقبة بمنتهى الدقة ، ثم أعاد بصره إلى أفراد فريقه العلمى ، وهو يقول :

- كل هذه الأجهزة عسكرية .

شهقت النساء الثلاث ، فى حين اتسعت عينا الدكتور (إسحاق) عن آخرهما ، وهو يقول بصوت مبحوح ، من شدة الانفعال :

- عسكرية ؟!

أشار الدكتور (خالد) بيده ، قائلاً :

- ربما كانت هذه الأجهزة مثالية ، للبحوث العلمية والتكنولوجية ، ولكن الواقع أنها لم تعدّ فعليًا لهذا الغرض ، وإنما صنعت كأجهزة بحث عن الألغام القديمة ، المتخلفة عن الحرب العالمية الأولى ، والتى قُدِّر عددها ، فى (مصر) وحدها ، بأكثر من مليون لغم[*] ، وعن أية ألغام أخرى ، قد توجد فى عمق الصحراء ، ولقد قدَّر صانعوها أنه من الممكن أن يمتدّ استخدامها إلى البحث عن الآثار ، والتنقيب عن البترول ، وأمور جيولوجية أخرى عديدة ، ولكن أكبر فائدة ، يمكن الحصول عليها منها هى زرع أجهزة المراقبة الحديثة ، والتى يمكن أن تستقر على عمق عشرين مترًا من سطح الأرض ، وتعمل فى الوقت ذاته على جمع وبث المعلومات ، من خلال هوائى بالغ الدقة ، بحيث يمكن تمريره عبر تجويف شعرة بشرية .

(*) حقيقة .

هتفت الدكتورة (مارى) مبهورة :

- ألدينا أجهزة كهذه ؟!

أجابها الدكتور (خالد) ، فى سرعة وحزم :

- لدينا ولدى العدو أيضًا ، وكلانا يعلم استحالة العثور على تلك الأجهزة الرقابية الدقيقة ، لذا فكل جانب يبذل قصارى جهده ، للبحث عن وسائل جديدة لكشف تلك الأجهزة ..

ثم فرد قامته ، مضيفًا فى اعتداد مزهو :

- ولقد ربحنا نحن السباق ، حتى هذه اللحظة .

غمغم الدكتور (إسحاق) ، فى توتر بلا حدود :

- والعدو طبعًا لن يألو جهدًا ، فى سبيل الحصول على نتائج السباق .

صمت الدكتور (خالد) بضع لحظات ، ثم قال فى حزم :

- لست أرغب فى إخافتكم ، ولكن الحقيقة أن العدو لن يتورع عن سحقنا جميعًا ، بلا أدنى رحمة ، أو شفقة ،

للحصول على الجهاز الرئيسى هنا ، والذى أطلقنا عليه اسم (المسيار الموجى - ١) ، أو (م م - ١) .

اتسعت عينا الدكتورة (ولاء) فى ارتياع ، وشهقت الدكتورة (مارى) فى ذعر ، ورفعت الدكتورة (ليلى) يديها ؛ لتسدّ أذنيها ، وهى تُغلق عينها ، وكأنما تحاول عزل نفسها معنويًا عما يحدث حولها ، أما الدكتور (إسحاق) ، فقد غمغم :

- يا إلهى ! يا إلهى !

انقسمت ابتسامة على شفتى الدكتور (خالد) ، وكأنما راق له التأثير ، الذى تركه فى الجميع ، وشدّ قامته أكثر ، وهو يقول :

- هيا أيها السادة .. الأجهزة معدّة تمامًا ، وسنبدأ عملنا فورًا .

وبخطوات متوترة متثاقلة ، اتجه الكل نحو الأجهزة ، وراح كل منهم يؤدى دوره فى صمت ، فيما عدا الدكتور (إسحاق) ، الذى استقر أمام شاشة (م م - ١) ، وهو يتمتم بعبارات عصبية غير مفهومة ، والشاشة

تحمل شوشرة منتظمة ، استمرّت بعض الوقت ، قبل أن يظهر فجأة جسم كروى ، جعله يقول فى توتر بالغ :

- ها هو ذا .

اتجه الجميع إليه فى انفعال ، وراحوا يتطلّعون مبهورين إلى ذلك الجسم ، الذى احتلّ معظم الشاشة ، وغمغمت الدكتورة (مارى) :

- أهذا هو النيزك الأثرى ، الذى يتحدثون عنه ؟!

قالت الدكتورة (ليلى) فى انبهار :

- إنه هنا منذ ملايين السنين .

وتألّقت عينا الدكتور (خالد) ، مع قوله :

- كان ينتظر قدومنا ، كل هذا الزمن ..

تردّدت الدكتورة (ولاء) بضع لحظات ، قبل أن تقول ، فى خفوت حذر :

- إنه لا يبدو لى نيزكًا حقيقيًا .

انتفض جسدها مع ذلك الأثر العنيف ، الذى أحدثته كلماتها الخافتة ، عندما التفت إليها الجميع فى حدة مندهشة مستنكرة ، فتراجعت متمتمة فى توتر شديد :

- إنه .. إنه مجرّد رأى .

سألها الدكتور (إسحاق) فى عصبية :

- ماذا تعنين ؟!

لوّحت بيدها ، قائلة :

- لا .. لا شىء .. إنه مجرّد ..

قاطعها الدكتور (خالد) ، فى اهتمام بالغ :

- ماذا تقصدين بأنه لا يبدو كنيزك حقيقى ؟!

تردّدت فى توتر أكثر ، ولكن العيون كلها كانت تحمل تساؤلاً كبيرًا ، مما جعلها تقول فى قلق :

- إنه جسم كروى منتظم ، منحنياته هادئة ناعمة ، وهذه ليست سمات نيزك عادى ، جاب الفضاء طويلاً ، وارتطم بملايين الصخور الصغيرة وذرات الرمال ، ثم اخترق غلافًا جويًا ، تحوّل فيه إلى كتلة من اللهب ، قبل أن يرتطم بالأرض ، ويبرد فوقها ، ثم يتعرّض لعوامل التعرية والتغطية ، لأكثر من مليون عام ، و ...

لم تستطع إكمال عباراتها ، من فرط توترها وعصبيتها ، فسعلت بافتعال ، متمتمة :

ـ إنه مجرَّد رأى .

ظلّوا يحدقـون فيهـا بضـع لحظـات ، بنفس النظرة المقلقة ، قبل أن تغمغم الدكتـورة (مـارى) ، فـى اهتمام بالغ :

ـ رأى جدير بالبحث والدراسة .

هتفت الدكتورة (ولاء) :

ـ حقًّا ؟!

لم يبال أحدهم بهتافها ، وهم يلتفتون مرة أخرى إلى الشاشة ، والدكتور (خالد) يقول فى حماس :

ـ بالتأكيد .. ذلك الجسم مستدير متكوِّر على نحو أكثر إتقانًا بكثير ، مما يمكن أن يكون عليه نيزك عادى !

هتفت الدكتورة (ليلى) ، وقد انتقل إليها حماسه :

ـ انظروا أيضًا إلى قراءات الكمبيوتر .. المفترض أن هذا الجسم مدفون هنـا منذ ملايين السنين ، كمـا تؤكِّد صور الأشعة الفضائية ، وعلى الرغم من هـذا ، فالسطح لا يعانى أية تآكلات ، أو شقوق ، وهذا أيضًا لا يتفق مع نيزك عادى .

بدا وكأن عدوى الحماس قد سرت فيهم جميعًا ، عندما قالت الدكتورة (مارى) فى انفعال عجيب :

ـ ربَاه ! قراءات مقياس الطيف .. هل انتبـه إليها أحدكم ؟!

استدارت عيونهم جميعًا إلى شاشة مقياس الطيف(*)، وانطلقت مـن حلوقهم شـهقة قويـة ، قبـل أن يهتـف الدكتور (خالد) فى ذهول :

ـ مستحيل !

أدار الدكتور (إسحاق) سبَّابته إلى مؤشر آخر ، وهو يقول بصوت مبحوح ، من فرط الانفعال الجارف :

ـ والكثـافة أيضـا .. ذلك الجسـم الكروى ليس .. ليس ..

(★) مقياس الطيف (Spectro Scope) : جهاز يستخدم لتحليل ألـوان الطيف ، الناشئة أو المنعكسـة عن أية مادة ، اعتمادًا على حقيقة علمية ، تؤكِّد أن لكل مادة فى الكون طيفـا يختلف عن أية مادة أخرى .

لم يستطع إكمال عبارته ، من شدة انفعاله وجفاف حلقه ، فاكتفى بهزة رأس ، وتلويحة سبابة ، جعلتا حلوق الجميع تجف بشدة ، حتى إن صوت الدكتور (خالد) خرج من حلقه شاحبًا ممتقعًا ، وهو يقول :

- لا بد من إبلاغ القيادة على الفور .

ثم انتزع نفسه من مكانه بصعوبة ، واتجه نحو جهاز الاتصال فى الحوامة الأولى ، متابعًا :

- من يدرى ؟! ربما قادتنا ملاحظتك هذه يا دكتورة (ولاء) ، إلى أعظم كشف علمى ، فى القرن الحادى والعشرين .

ردّدت الدكتورة (ولاء) بانبهار أكثر :

- حقًا ؟!

أومأ الدكتور (خالد) برأسه مؤيدًا ، وهو يواصل طريقه نحو الحوامة ، و ...

« دكتور (خالد) .. »

هتف قائد العسكريين الثلاثة باسمه ، فتوقف الرجل ، والتفت إليه ، مع عيون الجميع القلقة المتوترة ، فاتجه الضابط نحوه ، وقال فى عصبية :

- هناك شىء ما يقترب منا .

فى ظروف أخرى ، كان يمكن أن يستقبل الجميع هذه العبارة بشكل أو بآخر ..

أما فى تلك الظروف ، فقد كان رد فعلهم عجيبًا حقًا ..

لقد تراجع الدكتور (إسحاق) بحركة حادة ، وشهقت الدكتورة (ليلى) والدكتورة (مارى) ، وقفزت الدكتورة (ولاء) من مكانها فى ذعر ، فى حين هتف الدكتور (خالد) :

- شىء ما ؟! ماذا تعنى بعبارة شىء ما هذه ؟!

هزّ الرجل رأسه بنفس العصبية ، وهو يشير بيده إشارة مبهمة ، قائلاً :

- شىء ضخم ، هائل الحجم والارتفاع ، ولكنه ليس جسمًا ماديًا ، كما تشير أجهزة المراقبة .

غمغمت الدكتورة (ولاء) بصوت مبحوح :

- ضخم هائل ، وليس ماديًا .

ثم خطت بسرعة نحو جهاز المراقبة ، وألقت نظرة عليه ، قبل أن تهتف فى هلع :

ـ رباه !

سألها الدكتور (خالد) فى توتر :

ـ ماذا وجدت ؟!

استدارت إليه ، هاتفة في ذعر :

ـ إنها عاصفة .. عاصفة رملية هائلة .

شهق الجميع في ذعر شديد ، وهتفت الدكتورة (مارى) :

ـ عاصفة رملية ؟! مستحيل ! لقد راجعت نشرة التنبؤات الجوية بنفسى قبل أن نقلع ، و ...

قبل أن تتم عبارتها ، اتسعت عيون الجميع فى رعب ..

الجميع بلا استثناء ..

العلماء ..

والعاملون ..

وحتى العسكريون ..

فمن الأفق ، وأمام قرص الشمس ، الذى ارتفع كثيرًا ، تعالى حائط هائل من الرمال ..

حائط بدا أشبه بموجة محيط عاتية ، تكفى لإغراق حاملة طائرات عملاقة كاملة ..

حائط صنعته عاصفة رهيبة ..

ومباغتة ..

ومن كل الحلوق الملتاعة ، انطلقت صرخة هائلة ..

صرخة تحمل كل رعب الدنيا ..

أو كل رعب الكون ..

وقبل حتى أن تكتمل تلك الصرخة الهائلة ، كانت العاصفة تنقض مع حائط الرمال ، على كل شيء ..

وكان المشهد رهيبًا ..

رهيبًا بكل ما تحمله الكلمة من معان ..

كان أشبه بصفعة قوية ، من كف عملاق ضخم ، على وجه طفل فى الثانية من عمره ..

لقد أطاحت بكل شيء ، في عنف ليس له مثيل ..

الخيام ..

والأجهزة ..

وحتى البشر ..

وراحت الدكتورة (ولاء) تُطلق صرخات عنيفة متلاحقة ، والعاصفة تقتلعها من مكانها ، وتلقى بها وسط بحر من الرمال ..

بحر يحيط بها من كل صوب ، ويطير بها بعيدًا ..

وأخذت العالمة الشابة تصرخ ..

وتصرخ ..

وتصرخ ..

لم تكن ترى شيئًا من حولها ، بعد أن حجب حائط الرمال ، الذى تدفعه العاصفة ، قرص الشمس ، وأحال ضوء النهار إلى ظلام دامس ..

ولكنها شعرت بجسد يرتطم بها ..

جسد بشرى ..

وسمعت صرخة ..

بل صرخات ..

صرخات تحمل كل رعب الدنيا ..

مع رائحة مخيفة ..

رائحة الموت ..

وضاق صدرها ، من شدة الرعب والألم ..

واحتبست أنفاسها ..

واختنقت أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وكأنما اختفى الأكسجين من الهواء ..

تمامًا ..

وبكل ما تبقّى فى صدرها ، أطلقت الدكتورة (ولاء) صرخة أخيرة ..

ثم فقدت وعيها دفعة واحدة ..

وبمنتهى العنف ، راحت العاصفة الرهيبة تدفعها بعيدًا ..

بعيدًا ..

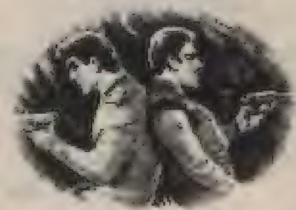
بعيدًا ..

وفجأة ، وبلا مقدمات ، وتمامًا كما بدأت ، انتهت العاصفة بغتة ..

وعادت أشعة الشمس الذهبية تغمر ذلك الجزء من الصحراء ، الذى استعاد حالة الهدوء التام ..

هدوء الموت .

* * *



٢ - بلا أثر ..

سرت موجة قوية من التوتر ، فى كيان (نشوى) ، عندما تحرك ذلك الخيط من الليزر الأزرق على وجهها ، وراح يتذبذب بإيقاع منتظم ، وهى تجلس على مقعد كبير ، داخل قاعة الاستجواب الخاصة ، فى مقر إدارة المخابرات العلمية المصرية ..

كانت تعلم ، بحكم دراستها وخبرتها ، أن ذلك الخيط الليزرى الأزرق يصنع صورة ثلاثية الأبعاد لوجهها ، الذى يعرض على شاشة كبيرة ، فى حجرة المحققين ، لدراسة ردود أفعالها ، مع كل سؤال ..

وعبر مكبرات صوتية خاصة ، تضفى على صوت المتحدث رنينًا يبعث الرهبة فى النفوس ، أتاها صوت صارم ، يقول :

- سيدة (نشوى نور الدين) .. أنت متهمة باختراق نظام عسكرى دفاعى على أعلى مستوى ، وتعريض

أمن وسلامة البلاد لخطر داهم .. ما أقوالك إزاء هذه التهمة[*].

التقطت نفسًا عميقًا ، وحاولت أن تسيطر على انفعالاتها ، التي تنقلها الشاشة الكبيرة إلى المحققين بمنتهى الدقة ، وهي تجيب :

- الظروف كانت تحتم تجاوز النظم التقليدية ، وكنت أعلم أن هذا لن يعرِّض أمن وسلامة البلاد لأية أخطار .

سألها الصوت بنفس الصرامة :

- وكيف يمكنك معرفة هذا ؟!

أجابته في سرعة :

- أنا خبيرة كمبيوتر ، ومسئولة عن متابعة نظم الأمن العام .

قال الصوت في خشونة :

- وهل تصوَّرت أن هذا يمنحك الحق في تجاوز النظم والقوانين ؟!

(*) راجع قصة (القوة) .. المغامرة رقم ١٣٠ .



وعبر مكبرات صوتية خاصة ، تضفي على صوت المتحدِّث رنينًا يبعث الرهبة في النفوس ، أتاها صوت صارم ؟

لم تستطع إخفاء توترها هذه المرة ، وهى تجيب :

ـ الأمور كانت تحتاج إلى تصرف عاجل ، وهذا ما أثبتته الأحداث فيما بعد .

سألها الصوت :

ـ أية أحداث ؟!

ترددت لحظة ، قبل أن تجيب فى حزم عصبى :

ـ هذا مسجل فى التقرير رقم (٧١٩١ ـ د) ، فى المخابرات العلمية .

سألها الصوت :

ـ وما الذى يحويه ذلك التقرير ، السالف الذكر ؟!

ترددت بضع لحظات ، ثم أجابت فى حزم :

ـ كل التفاصيل .

انعقد حاجبا وزير الدفاع ، الذى يدير التحقيق بنفسه ، وتطلع فى غضب إلى النموذج ثلاثى الأبعاد ، الذى تصنعه خيوط الليزر لوجه (تشوى) ، بكل خلجاته وانفعالاته ، قبل أن يلتفت إلى القائد الأعلى

للمخابرات العلمية ، الذى يجلس إلى جواره ، داخل حجرة التحقيقات الخاصة ، قائلاً فى عصبية :

ـ ما الذى تفعله هذه المرأة بالضبط ؟!

أخفى القائد الأعلى ابتسامته ، وهو يجيب فى حزم :

ـ تنفذ الأوامر .

هتف الوزير فى حدة :

ـ أية أوامر ؟!

أجابه بنفس الحزم :

ـ الأوامر التى تحتم عليها عدم كشف أية أسرار خاصة بالعمل ، إلا فى حضور مندوب رسمى من المخابرات العلمية ، وبناء على طلب قانونى ، موقع من رئيس الجمهورية شخصياً .

ازداد انعقاد حاجبى وزير الدفاع ، وهو يقول فى غضب :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟! هل ستفلت من العقاب ، بسبب تعقيدات قانونية سخيفة كهذه ؟!

هزّ القائد الأعلى رأسه ، قائلاً :

ـ (نشـوى) اعتـرفت بالذنب ، وأصبحت ـ من الناحية القانونية ـ تستحق أقصـى عقاب ينصّ عليه القانون ، ولكننا نتحدّث عن أمر قانونى آخر .

رسم الغضب خطوطه الغائرة على وجه الوزير ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ستحصل على أقصى عقاب ، هى وفريقها كله .. خذها منى كلمة بهذا .

قال القائد الأعلى فى حزم :

ـ القانون لا يعاقب فريقًا كاملاً ، بسبب خطأ أحد أفراده .

نهض الوزير ، قائلاً بصرامة أكثر :

ـ ولكن القانون نفسه ينصّ على أن القائد مسئول مسئولية مباشرة عن أخطاء رجاله .

والتقط قبعته الرسمية ، وارتداها فى حدة ، مضيفًا :

ـ وأنا أعدك بأن تلك المهمة غير الرسمية ، التى جعلت رجالك يقتحمون شبكة أسرارنا ، على هذا النحو الفج ، ستكون آخر مهمة للمقدّم (نور الدين) وفريقه العائلى .

ثم انحنى يضغط زر الاتصال الصوتى ، قائلاً فى صرامة عصبية :

ـ سيدة (نشوى) .. انتهى الاستجواب .

واعتدل ليغادر حجرة التحقيقات كالعاصفة ، تاركًا (نشوى) خلفه ، ترتجف من فرط التوتر والانفعال ، والقائد الأعلى وقد انغرس فى مقعده ، وامتزج حاجباه فى توتر شديد ، وقد سيطر على ذهنه سؤال واحد ..

أهى بالفعل نهاية فريق (نور) ؟!

هل انتهى هنا تاريخهم كله ؟!

هل ؟!

* * *

مرة أخرى اخترق أزيز الحوّامات تلك المنطقة ، التى نسيها العمران ، فى قلب صحراء (مصر) الغربية ..

وفى هذه المرة ، كان الأزيز قويًا ..

هادرًا ..

وغزيرًا ..

أكثر من ثلاثين حوّامة نفّاثة ، حلّقت فوق المنطقة ، وراحت تدور حولها ، فى دائرة نصف قطرها ستة كيلومترات كاملة ، وبداخلها فريق ضخم من رجال الجيش ، والعلماء ، وخبراء الأمن ..

ولساعة كاملة ، انهمك الكل فى البحث عن المفقودين ، وفحص المنطقة بأكملها ، قبل أن يضغط قائد الفريق زر جهاز الاتصال فى حوامته ، قائلاً :

ـ من الفريق (دال) إلى القيادة .. لا يوجد أدنى أثر لفريق البحث الجيولوجى أو معداته ، فى المنطقة كلها .. بل ولا أثر لحدوث اشتباك أو قتال من أى نوع .

أتاه صوت قائده ، قائلاً فى توتر :

ـ ما الذى يعنيه عدم وجود أدنى أثر ؟! الفريق

هبط فى تلك البقعة بالتأكيد ، كما سجّلت أجهزة الكمبيوتر ، وصور الأقمار الصناعية ، ووسائلهم اللاسلكية .. لابد من وجود أثر للهبوط على الأقل .

أجابه قائد الفريق الجديد :

ـ لا يوجد أدنى أثر يا سيّدى .. المنطقة هادئة تمامًا ، وتعرجات الرمال المنتظمة المتناسقة ، توحى بأن قدمًا لم تطأها ، منذ عدة سنوات على الأقل .

هتف رئيسه :

ـ مستحيل ! هناك شىء خطأ حتمًا .

قال قائد الفريق :

ـ هل نواصل البحث ؟!

أجابه رئيسه فى حزم :

ـ بالتأكيد .. وبصورة مباشرة .. اهبطوا فى المنطقة ، وانتشروا فيها .. افحصوا كل شبر منها ، ولا تعودوا قبل أن تحصلوا على دليل .. أى دليل يرشدنا إلى ما حدث .

قال قائد الفريق :

ـ عُلِمَ وسينفَذ يا سيِّدى .

وبإشارة لاسلكية ، هبطت عشرون حوَّامة على رمال الصحراء ، وانتشر رجالها فى المنطقة ، شاهرين أسلحتهم ، للبحث عن المفقودين ، فى حين بقيت عشر حوامات تحلِّق فى السماء ، لحماية الباقين ، ومواصلة عمليات البحث الجوى .

ولكن الصورة من أسفل لم تختلف كثيرًا عنها بأعلى ..

كل شىء ظلَّ هادئًا صامتًا ، باستثناء آثار أقدام فريق العسكريين والعلماء ، التى أفسدت نسق ورتابة تعرجات الرمال ..

وبعد ساعة كاملة من البحث ، أجرى قائد الفريق اتصاله مرة أخرى بالقيادة :

ـ النتائج سلبية .. لا يوجد أدنى أثر ، تم فحص المنطقة بكاملها ثلاث مرات .

جاوبه الصمت بضع دقائق ، بدت أشبه بدهر كامل ، قبل أن يأتيه صوت رئيسه ، قائلاً :

ـ من القيادة إلى الفريق (دال) .. انتهت المهمة .. اجمع فريقك ، وعد فورًا .

مطَّ القائد شفتيه ، وكأنما لا يروق له إنهاء المهمة بهذا الأسلوب ، وقال :

ـ فريق العلماء أمكنه تحديد موقع الهدف الرئيسى ، ويطلب الإذن بالبقاء ؛ لمتابعة البحث العلمى ، لعله يجد فيه تفسيرًا لما حدث ..

أجابه رئيسه فى صرامة :

ـ سلبى .. عد فورًا .. انتهى الاتصال .

وفى ضيق واضح ، أنهى قائد الفريق الاتصال ، واستدار إلى رئيس الفريق العلمى ، قائلاً :

ـ غير مسموح لكم بالبقاء .

هتف رئيس الفريق العلمى مستنكرًا :

ـ ولكن هذا غير عادل .. لقد حملنا معنا كل الأجهزة اللازمة ، و ...

قاطعه القائد فى صرامة ، تحمل الكثير من الضيق :

- الأوامر هي الأوامر .

وبإشارة من يده ، عاد الجميع إلى الحوامات ، التي أقلعت لتنضمّ إلى رفيقاتها في سماء المنطقة ، ثم انطلق السرب كله عائدًا إلى (القاهرة) الجديدة ..

ومرة أخرى ، غرقت المنطقة في صمت تام ..

وهدوء عجيب ..

بلا حدود ..

وبلا أثر ..

* * *

« وزير الدفاع يصرّ على حل الفريق ، وتقديمكم جميعًا إلى محاكمة عسكرية يا (نور) .. »

نطق القائد الأعلى للمخابرات العلمية العبارة في ضيق شديد ، ولوّح بيده في عصبية لم يحاول إخفاءها ، وهو يضيف :

- المشكلة أنه يهدّد بالاستقالة ، لو لم يعتمد السيد رئيس الجمهورية قراره هذا .

شعر (نور) بغصة في حلقه ، وهو يقف أمام القائد الأعلى ، منعته من التعليق على ما يسمعه ، فاكتفى بوقفته العسكرية المشدودة ، محاولاً إخفاء مرارته وضيقه ، فتطلّع إليه الدكتور (جلال) لحظة ، قبل أن يقول في حنق :

- هذا ظلم .. الأمر لا يستحق كل هذا .

هزّ القائد الأعلى رأسه ، قائلاً :

- القرار له مبرراته ، من الناحية القانونية المحضة ، وسيادة وزير الدفاع يستند إلى عدم حق أي مواطن ، في اختراق شبكات الدفاع العسكرية ، تحت أية ظروف ، ومهما كانت الأسباب والمبررات .

وتنهّد في عمق ، مضيفًا :

- ثم إنه يعتبر الأمر إهانة شخصية .

انتزع (نور) نفسه من كل انفعالاته ، ليقول :

- هذا لا يهم يا سيّدي .

خرجت العبارة من بين شفتيه خشنة جافة ، على الرغم منه ، فتطلّع إليه الرجلان في دهشة ، قبل أن يهتف القائد الأعلى مستنكرًا :

ـ لا يهم ؟!

تنحنح (نور) فى توتر ، وقال :

ـ ما أقصده هو أن فريقى سيبذل حياته دومًا ، فى سبيل (مصر) ، سواء أكان يحتل منصبًا رسميًا أم لا .

تطلَّع الرجلان إليه لحظة فى صمت ، قبل أن يغمغم الدكتور (جلال) بابتسامة حنون :

ـ أنا واثق من هذا .

أما القائد الأعلى ، فقد تراجع فى مقعده ، وتمتم :

ـ يا لسخافة الرسميات .

شدّ (نور) قامته ، قائلاً :

ـ سيدى .. هل تسمح لى بتقديم استقالة جماعية للفريق ؟!

تبادل الرجلان نظرة ملؤها الألم والأسى ، قبل أن ينهض القائد الأعلى من خلف مكتبه ، قائلاً :

ـ لم يعد هذا مجديًا يا (نور) .

ثم وضع يده على كتفه ، وزفر فى أسى ، مضيفًا :

ـ لقد صدر قرار جمهورى بإعفائكم جميعًا من مناصبكم ، وتقديمكم إلى محاكمة عسكرية ، بتهمة تجاوز التعليمات والقوانين ، على نحو عرَّض أمن وسلامة البلاد للخطر .

وقفزت غصة أخرى إلى حلق (نور) ..

غُصة أضخم من سابقتها ..

ألف مرة ..

ومن كل ذرة فى كيانه ، تصاعدت مرارة ..

فيض من المرارة ، غمر مشاعره كلها ، وأغرق كل خلية من خلايا نفسه .

وحاول أن يقول شيئًا ..

أى شىء ..

ولكن كل إرادته وقوته عجزتا عن تجاوز الموقف .

عيناه وحدهما ، عبرتا عن كل ما يشتعل فى أعماقه ، حتى إن الدكتور (جلال) هتف فى حنق ساخط :

ـ فلتذهب كل الرسميات إلى الجحيم .

أما القائد الأعلى ، فقد تطلّع إلى عينى (نور) الحزينتين ، ثم ربّت على كتفه ، قائلاً فى صوت خافت :

ـ لن يمكنهم الاستغناء عنك طويلاً يا (نور) .. صدقنى .. لن يمكنهم الاستغناء عن فريق كفريقك قط .

هزّ (نور) رأسه ممتنًا للمجاملة ، ومعلنًا تفهّمه للأمر ، ولكن تلك الغصة فى حلقه واصلت إصرارها على منعه من الكلام ، فتراجع خطوة واحدة ، وأدى التحية العسكرية فى قوة ، ثم دار على عقبيه ، وغادر حجرة القائد الأعلى ..

وفى أعمق أعماقه ، تضاعف نهر المرارة ألف مرة ، وفاض حتى طغى على كل مشاعره الأخرى ، وهو يستقل ذلك المصعد الأسطوانى ، الذى ينبعث داخله ذلك الضوء البنفسجى الهادئ ، صاعدًا إلى حيث يغادر مبنى الإدارة كله ..

وفى اللحظة التى تجاوز فيها أبواب المبنى ، بعد أن سلّم سلاحه وهويته ، هوى قلبه فى عنف بين

قدميه ، وصرخ الألم والأسى فى أعماقه ، يعلنان أنه يغادر المخابرات العلمية لآخر مرة ..

وإلى الأبد ..

* * *

عضّ (أكرم) شفتيه ، فى مرارة بلا حدود ، وهو يهتف بكل غضب الدنيا :

ـ مستحيل ! مستحيل أن يفعلوا بنا هذا ، بعد كل ما قدمناه لهم ! مستحيل !

قال (نور) فى ضيق ، وهو يلقى سترته الجلدية على أقرب مقعد إليه :

ـ إننا لم نقدم كل هذا لهم ، ولكن للوطن .

هتفت (نشوى) :

ـ وهكذا يكافئنا الوطن .. أليس كذلك ؟!

أشاح (نور) بوجهه ، و(سلوى) تضيف فى حزن :

ـ كان ينبغى أن يعاقبونا وحدنا .. (نشوى) وأنا .. لقد أسأنا بحماقتنا لكم جميعًا .

ابتسم (رمزى) فى وهن ، وهو يشير بيده ، قائلاً :

ـ حماقتكما هذه أنقذت حياة ثلاثتنا .. (نور) و (أكرم) ، وأنا .

واحتضنتها (مشيرة) فى امتنان ، قائلة :

ـ هذا يعنى أننى أدين لكما بحياتى أيضًا .

وتبادلت نظرة دلال مع زوجها (أكرم) ، قبل أن تضيف :

ـ وبروحى أيضًا .

تنهّد (أكرم) ، وهزّ رأسه ، قائلاً :

ـ عجبًا ! هذه المرأة الدافئة الحنون تشبه زوجتى ، ولكن ..

اعتدلت (مشيرة) ، هاتفة فى شراسة :

ـ ولكن ماذا ؟!

ضحك هاتفًا :

ـ آه .. ها أنذا أتعرّفها .. إنها زوجتى بكل تأكيد .

كان يتوقّع أن يضحك الجميع لدعابته ، ولكن صمتًا ثقيلاً زاد الحجرة لحظات ، جعله يتنحنح فى حرج ، قائلاً :

ـ المهم أننا جميعًا بخير ، والعمل لا يقتصر فى الدنيا على عالم المخابرات العلمية .

نهضت (مشيرة) ، واتجهت نحوه ، وطوّقته بذراعيها ، قائلة :

ـ على الأقل ، عندما تعملون فى وظائف مدنية ، ستنتهى حالة الهلع ، التى كنت أحيا فيها ، كلما خرجتم لمهمة ما ، من تلك المهام المفزعة الرهيبة ، التى اعتدتم القيام بها .

تبادل أفراد الفريق نظرة صامتة ، قبل أن يغمغم (رمزى) :

ـ صدقينى .. سأشتاق كثيرًا إلى تلك الحياة .

غمغم (أكرم) فى أسى :

ـ لقد اشتقت إليها بالفعل .

عضت (نشوى) شفتيها فى ألم ، وأرقدت (محمود) الصغير على الأريكة المجاورة فى رفق ، ثم ربتت على كتف زوجها (رمزى) فى إشفاق ، قائلة فى حزن جارف :

- من الواضح أننا قد أسأنا إليكم كثيرًا .

وانفجرت فجأة باكية ، وهى تضيف :

- ولكننى كنت مضطرة .

قفزت إليها (سلوى) ، واحتوتها بين ذراعيها فى حنان مشفق ، فى حين أمسك (رمزى) يدها ، قائلاً :

- عزيزتى .. كل منا يؤدى واجبه فحسب ، ولا يمكننا قط أن نستنتج أو نتيقن من النتائج .. ولو أننى فى موضعك ، لفعلت حتمًا ما فعلتماه ، (سلوى) وأنت .

أضاف (نور) فى حزم :

- ثم إننى واثق مما قاله القائد الأعلى .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

- لن يمكنهم الاستغناء عنا طويلاً ..

قالها ، وازدرد غصة جديدة ، برزت مرة أخرى فى حلقه ، وتطلع فى عيونهم جميعًا وقبضة باردة كالثلج تعتصر قلبه ..

وكان من الواضح أن أحدًا لم يصدق ما قاله ..

أو يشعر به ..

لقد نمت فى حلوقهم جميعًا غصة واحدة ..

غصة هائلة ..

ومؤلمة ..

إلى أقصى حد ..

* * *

لم تكن الشمس قد أشرقت بعد ، على تلك البقعة الغامضة من صحراء (مصر) الغربية ، عندما ارتفع فيها أزيز الحوامات العسكرية للمرة الثالثة ..

أربع حوامات عملاقة ، حلقت فى السماء ، واتجهت مباشرة نحو البقعة نفسها ، لتهبط على رمال الصحراء ..

وقبل حتى أن تستقر فوقها ، كان الجنود يثبون منها ، ويندفعون لإحاطة المكان كله بدائرة كبيرة منهم ، حاملين أقوى أسلحتهم وأحدثها ، ومتحفزين لمواجهة أى خطر .. أى خطر ..

وعندما هبطت الحوامات العملاقة ، انضمت إليهم أربع سيارات مدرعة ثقيلة ، على متن كل منها مدفع ليزرى قوى ، وفريق من قوات الصاعقة ، المدرَّبة على مواجهة جيوش بأكملها ..

وأخيرًا خرج أربعة من العلماء ، مع معدات بحث جديدة ، على رأسها نسخة أخرى من (م م ـ ١) ..

ولم يتبادل الرجال حرفًا واحدًا ..

لقد اتخذ كل منهم موقعه ، وبالذات فريق العلماء الصغير ، الذى راح يعمل على تشغيل الأجهزة العلمية ، وجهاز (م م ـ ١) ، وتوصيل كل هذا بأجهزة بث خاصة ، تنقل المشاهد والنتائج لحظة فلحظة ، إلى الجهاز العلمى للقوات المسلحة ..

وما إن انتهى العلماء من إعداد كل شىء ، حتى بدءوا عملية البحث الرئيسية ..

وأطلق (م م ـ ١) موجاته عبر الرمال ..

عبر ثلاثين مترًا منها ..

وعلى الشاشة ، بدت تلك الشوشرة المنتظمة لبعض الوقت ..

ثم ظهر الجسم الكروى ..

وراحت الأجهزة تسجل بياناتها ..

وترسلها فورًا إلى الجهاز العلمى العسكرى ..

وفى انبهار ، هتف أحد العلماء :

ـ ربَّاه ! إنه لا يبدو لى كنيزك عادى !

هتف آخر :

ـ بالتأكيد .. إنه كامل الاستدارة ، منتظم ، و ...

وكأنما يعيد التاريخ نفسه ، راح الأربعة يتبادلون نفس العبارات ـ تقريبًا ـ التى تبادلها علماء الفريق الأوَّل ..

وفى الوقت ذاته ، كان وزير الدفاع شخصيًا يتابع ما ينقله (م م ـ ١) ، على شبكة كبيرة ، داخل الجهاز العلمى العسكرى ، وهو يهتف :

- مستحيل ! لا يمكن أن يكون الأمر كذلك .

أجابه رئيس الجهاز العلمى فى عصبية :

- الصور ونتائج الفحص واضحة تمامًا يا سيادة الوزير .. راجع بنفسك نتائج الفحص المباشر ، وقراءات مقياس الطيف .. من المستحيل أن يكون ذلك الشيء مجرَّد تكوين عشوائى .

هتف الوزير مبهورًا :

- ولكنه هناك ، منذ ملايين السنين .

أجابه العالم فى حسم :

- لا يوجد أدنى شك فى هذا .. كل النتائج الأولية لفحص الأقمار الصناعية الجديدة تؤكد هذا .

قال الوزير فى عصبية :

- كيف إذن ؟

قاطعه العالم فى سرعة :

- ولماذا يتعارض هذا وذاك ؟!

حدَّق الوزير فى وجهه بدهشة عارمة ، قبل أن يقول فى عصبية زائدة :

- أى قول هذا ؟! من الطبيعى أن يتعارض الأمران ، فما دام ذلك الشىء ليس تكوينًا طبيعيًا عشوائيًا ، فهو ...

قبل أن يتم عبارته ، هتف أحد المراقبين فى توتر :

- سيِّدى .. شىء ما يحدث هنا .

تطلَّع الوزير ورئيس الجهاز العلمى إلى بعضهما فى دهشة عصبية ، قبل أن يندفع كلاهما إلى المراقب ، والأول يتساءل :

- أى شىء بالضبط ؟!

أشار المراقب إلى شاشة جهازه ، وهو يجيب بصوت غلبه الانفعال :

- شىء عجيب .. جدًا .

انعقد حاجبا الوزير فى شدة ، وشهق رئيس الجهاز العلمى ، وهو يهتف :

- ربَّاه ! ما هذا بالضبط ؟!

فأمام عيون الجميع ، على شاشة المراقبة ، التى



ثم قفز يختطف جهاز الاتصال ، صائحًا برجاله هناك :

ـ من القيادة إلى الفريق (هاء) .. انسحبوا فورًا ..

تنقل صورها الأقمار الصناعية مباشرة ، برز جدار من الرمال من قلب الصحراء ، على مسافة خمسة كيلومترات من موقع فريق البحث العلمي الجديد ..

ثم انقض على مركز الدائرة بغتة ، على نحو عاصف رهيب ..

وهتف وزير الدفاع ، بكل دهشة وارتياع الدنيا :

ـ مستحيل !

ثم قفز يختطف جهاز الاتصال ، صائحًا برجاله هناك :

ـ من القيادة إلى الفريق (هاء) .. انسحبوا فورًا ، وبأقصى سرعة ممكنة .. الانسحاب بالأفراد وحدهم .. أكرِّر .. انسحبوا فورًا دون أية معدات .

صاح رئيس الجهاز العلمى :

ـ وماذا عن (م م ـ ١) ؟! هل يتركونه خلفهم ؟!

استدار إليه الوزير بكل صرامة الدنيا ، هاتفًا :

ـ إننى أتحدَّث عن رجال يا رجل .. هل تفهم ؟! عن بشر .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان قائد الفريق يهتف برجاله ، فى قلب الصحراء :

ـ انسحاب فورى .. الأفراد فقط .. هيا .. بأقصى سرعة .

اتسعت عيون العلماء الأربعة ، وهتف أحدهم بدهشة مستنكرة :

ـ انسحاب ؟! مستحيل !

لم يكد ينطقها ، حتى غاب قرص الشمس ، خلف جدار رملى هائل ، هوت لمرآه القلوب بين الأقدام ، وصرخ معه أحد الرجال :

ـ رباه !

ومع صرخته ، انقضّت العاصفة ..

بكل القوة ..

والعنف ..

والشراسة ..

لم تمهل الرجال لحظة واحدة لبلوغ حواماتهم ..

بل ولم ترحم الحوامات نفسها ..

لقد انقضّت تقتلع كل شىء من مكانه بمنتهى العنف ..

حتى العربات المدرّعة الثقيلة ..

وانطلقت الصرخات وطلقات الليزر ، من كل مكان ..

وعلى شاشة المراقبة ، بدا المشهد رهيبًا ..

رهيبًا ..

رهيبًا ..

إلى أقصى حد ..

عاصفة عاتية من الرمال ، تدور حول نفسها بعنف لا مثيل له ..

ثم توقّف كل شىء بغتة ..

ودون مقدمات ..

توقّف ، كما لو أن الشاشة قد انتقلت بغتة إلى موضع آخر ..

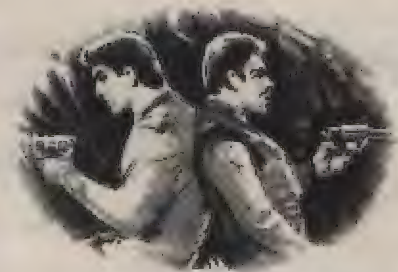
موضع لا أثر فيه لأية صورة من صور الحياة الحالية ..

أو الماضية ..

وساد المنطقة هدوء رهيب عجيب ، بعد أن اختفت القافلة الجديدة ، دون أن تترك خلفها أى رجل ..

أو أدنى أثر .

* * *



٣ ـ العـودة ..

انطلقت صرخة (طارق) الصغير فجأة ، فانتفضت (سلوى) ، وهبّت إليه ، لتحمله فى حنان بالغ ، وتهزه فى رفق ، قائلة :

ـ ماذا أصابك يا صغيرى ؟! هل أحنقك أنت أيضًا ما فعلوه بنا ؟!

حاول (نور) أن يبتسم ، وهو يقول :

ـ لا تقحمي الصغير فى هذه الأمور قبل الأوان .

ابتسمت فى حنان ، قائلة :

ـ كلانا يعلم أنه سيعانى منها حتى النخاع فى مستقبله(*).

غمغم :

ـ بالتأكيد .

(*) راجع قصة (الفارس الثانى) .. المغامرة رقم ١٢٠

ثم اتجه إلى النافذة المطلة على الحديقة ، ووقف يتطلع عبرها فى صمت حزين ، فأرضعت (سلوى) صغيرها ، وأعادته إلى مهده ، قبل أن تتجه إليه فى حنان ، هامسة :

- كل شىء سيعود إلى ما كان عليه بإذن الله .

ابتسم فى حزن ، قائلاً :

- ما انكسر لا يمكن إصلاحه أبدًا .

قالت فى تعاطف :

- لا تقل هذا يا (نور) .. (نور) الذى أحببته وتزوجته لا يصاب باليأس بهذه السهولة .. أنت قلتها ألف مرة من قبل .. كلنا سنخدم (مصر) من أى موقع كان .. أنسيت أننا قد قاتلنا من أجل العالم كله ، عندما لم تكن هناك مخابرات علمية ، أو غير علمية(*).

تنهد ، وهو يقول فى مرارة :

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم ٧٦

- المشكلة ليست مشكلة إعفائنا من مناصبنا يا (سلوى) .. إن ما يثير ألمى ومرارتى ، هو أن تنتهى حياتنا الحافلة بمحاكمة عسكرية ، تتهمنا بتهديد أمن وسلامة الوطن .. الوطن الذى ضحينا من أجله بكل غال ونفيس ، ولم نتردد لحظة واحدة ، فى بذل حياتنا نفسها من أجله .

انتقلت إليها مرارته ، وهى تقول :

- لا يمكن أن يفعل بنا الوطن هذا .. بل لا يمكن أن يفعل بنا الله (سبحانه وتعالى) هذا .. لقد راعيناه فى كل خطوة خطوناها ، ولقد وعد (عز وجل) من يتقيه بأن يجعل له مخرجًا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب(*).

تمتم ، وهو يخفض عينيه فى خشوع :

- ونعم بالله .

(*) بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ . [صدق الله العظيم] القرآن الكريم (سورة الطلاق) ، الآية (٣)

لم يكد ينطقها ، حتى توقفت أمام منزله سيارة عسكرية كبيرة ، تحمل شعار وزارة الدفاع ، فارتجف قلب (سلوى) بين ضلوعها ، وهى تقول :

- يا إلهى ! ليس بهذه السرعة .

أما (نور) ، فقد انعقد حاجباه ، وهو يتابع ببصره اثنين من العسكريين ، قفزا بأسلحتهما من السيارة ، واندفعا نحو المنزل ، ثم لم يلبث أن شدّ قامته فى اعتداد ، وقال لزوجته فى حزم :

- أحضرى سترتى .

خفق قلبها فى عنف ، وهى تسرع لإحضار سترته ، فى نفس اللحظة التى دق فيها الباب فى قوة ، فاتجه (نور) نحوه برأس مرفوع ، وفتحه فى هدوء ، وهو يقول :

- المقدّم (نور الدين) .

لم يكد ينطق اسمه ، حتى اعتدل الرجلان ، وأديا التحية العسكرية فى قوة ، وقال كبيرهما فى احترام بالغ :

- يسعدنا ويشرفنا أن نلتقى بك يا سيدى .

ثم ارتسمت على شفتى الثانى ابتسامة كبيرة ، وهو يضيف :

- سيادة وزير الدفاع يطلب مقابلتك فورًا يا سيدى .

بدت الدهشة على وجه (نور) و(سلوى) ، وناولته الأخيرة سترته ، وهى تردد :

- الوزير شخصيًا ؟!

قال أحد الرجلين فى سرعة :

- وفورًا يا سيدتى ..

تبادل (نور) و (سلوى) نظرة متوترة ، قبل أن يرتدى هو سترته ، ويقول فى حزم :

- هيّا بنا .

ولم تمض دقيقة واحدة ، حتى كانت السيارة العسكرية تنطلق به عبر شوارع (القاهرة) الجديدة ، فى طريقها إلى وزارة الدفاع ، وسؤال واحد يلح على رأسه بلا توقف ..

ترى لماذا يطلب الوزير مقابلته شخصيًا ، فى ظل هذه الظروف ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

* * *

« (مصر) بحاجة إلى خدماتك أيها المقدّم .. »

نطق وزير الدفاع العبارة في حزم متوتر ، فشدّ (نور) قامته ، وأخفى دهشته وسعادته فى أعماقه ، وهو يقول :

ـ فريقى كله رهن إشارة (مصر) يا سيّدى .

مطّ الوزير شفتيه ، وكأنما لا يروق له كل هذا ، وقال :

ـ سيادة رئيس الجمهورية يؤكّد أنكم الوحيدون الذين يمكنهم مواجهة أمر كهذا ، لذا فقد أصدر عفوًا شاملاً عنكم ، وأسند إليكم هذه المهمة رسميًا .

تمتم (نور) فى دهشة :

ـ بهذه السرعة ؟!

مطّ الوزير شفتيه مرة أخرى ، وأشاح بوجهه ، قائلاً في عصبية :

ـ نعم .. بهذه السرعة .

كان من الواضح أن الظروف وحدها ، هى التى تضطره لكل ما يفعله ، وهو يتجه نحو باب جانبى ، قائلاً فى حدة :

ـ اتبعنى .

تبعه (نور) إلى حجرة صغيرة ، ما إن دلفا إليها ، حتي أغلق الوزير بابها ، وقال فى حزم :

ـ القمة تبدأ من القاعدة .

وقف (نور) هادئًا إلى جواره ، فسأله في صرامة :

ـ ألا يدهشك ما قلته هنا ؟!

هزّ (نور) رأسه نفيًا في هدوء ، مجيبًا :

ـ ولماذا يدهشنى يا سيادة الوزير ؟! إنك تستخدم بصمة صوتك ، كوسيلة لإشعال جهاز ما ..

بدت الدهشة على الوزير لحظة ، ثم لم تلبث أن تحولّت إلى شيء من الصرامة العصبية ، وهو يقول :

- جهاز مثل ماذا ؟!

أجابه (نور) بنفس الهدوء والبساطة :

- جهاز أمن أو مراقبة ، أو ...

بتر عبارته فجأة ، وهو يفكّر فى عمق ، فسأله الوزير فى اهتمام حذر :

- أو ماذا ؟!

صمت (نور) بضع لحظات أخرى ، وهو يستعيد عبارة الوزير ، قبل أن يجيب فى حزم واثق :

- أو جهاز لتحريك الحجرة كلها .. أو بمعنى أدق .. للهبوط بها إلى أسفل .

اتسعت عينا الوزير عن آخرهما هذه المرة ، وهتف :

- مستحيل !

ثم استدار بجسده كله إلى (نور) ، متابعًا :

- كيف أمكنك معرفة هذا ؟! الحجرة مصممة بحيث تهبط فى هدوء تام ، دون أن يشعر من داخلها بهذا ؟

ابتسم (نور) ، مجيبًا :

- هذا صحيح بالتأكيد يا سيادة الوزير .. إننى لم أشعر بالهبوط على الإطلاق ، ولكن العبارة التى استخدمتها ، وطبيعة الحجرة ، الخالية من أية قطعة أثاث ، كانت أمورًا لا تحتمل سوى تفسير واحد .. أنها فى الواقع مجرّد مصعد خفى ، مهمته أن يهبط بركابه إلى منطقة سفلية سرية ، لا ينبغى أن يدرك وجودها الكثيرون .

اتسعت عينا الوزير فى دهشة بالغة ، ثم امتزجت دهشته بابتسامة إعجاب وهو يغمغم :

- إنك كما يصفونك بالفعل .. كنت أظنهم يبالغون كثيرًا .

تمتم (نور) :

- أشكرك يا سيّدى .

مع آخر كلماته ، انفتح باب الحجرة دفعة واحدة ، ليكشف عن قاعة كبيرة تحوى أحدث أجهزة المراقبة والمتابعة ، ويداخلها عدد من العلماء ، فى معاطفهم

البيضاء ، التى تحمل على صدرها علامة الجهاز العلمى العسكرى .

وفى حزم ، غادر الوزير الحجرة السرية إلى القاعة ، وهو يقول لأول شخص قابله ، بلهجة آمرة صارمة :

ـ ضعوا بعض الأثاثات البسيطة في الحجرة ، حتى لا تبدو مفضوحة على هذا النحو ، واستبدلوا كلمة السر بأخرى أكثر بساطة .

تبعه (نور) فى صمت ، عبر تلك القاعة ، التى بدت له شديدة الشبه بإدارة البحث العلمى ، التابعة لجهاز المخابرات ، حتى تجاوزها الوزير إلى حجرة أخرى كبيرة ، بدت أيضًا مماثلة ـ تقريبًا ـ لحجرة القائد الأعلى ، ولقد استقر الوزير خلف مكتبه الكبير ، وهو يقول فى حزم :

ـ إننا نواجه موقفًا غامضًا وخطيرًا ، ونحتاج إلى فريق كفريقك ، أيها المقدّم ..

قال (نور) فى حزم صادق :

ـ كلنا رهن إشارتك يا سيادة الوزير .

ضغط الوزير زرًّا ، وهو يقول :

ـ مستشارى العلمى ، الدكتور (كريم محمود) سيشرح لك الأمر بصورة أكثر وضوحًا .

مضت لحظات من الصمت ، قبل أن يدلف إلى المكان كهل وقور ، هادئ الملامح ، أشيب الشعر ، حيا (نور) بإيماءة رأس وابتسامة ودود ، قبل أن يشير إلى جدار من جدران الحجرة ، قائلاً بصوت رصين ، مع ظهور فيلم متحرك على ذلك الجدار :

ـ ترى هل تابعت آخر تقارير الأقمار الصناعية ، التى أشارت إلى وجود نيزك قديم ، عمره ملايين السنين ، مدفون فى صحرائنا الغربية أيها المقدّم .

قال (نور) فى بطء ، وهو يزن كل كلماته :

ـ قرأت شيئًا بهذا الشأن ، قبل عمليتى الأخيرة .

لم يرق حذره للوزير ، الذى عقد حاجبيه فى ضيق ، فى حين تابع الدكتور (كريم) ، بنفس الرصانة والوقار :

ـ حسن .. لقد أرسلنا فريقًا مشتركًا ، من علمائنا وعلماء مركز الأبحاث ، مع واحد من أحدث أجهزة الفحص ، وهو (م م ـ ١) ، لدراسة ذلك النيزك ، وتحديد عمره الفعلى ، وتاريخ هبوطه على الأرض ، عندما ارتطمنا بعدد من الأحداث الغامضة ، و ...

راح يروى له كل ما حدث ، بأدق التفاصيل ، و (نور) يستمع إليه فى اهتمام بالغ ، حتى قال :

ـ وفى المرة الأخيرة ، التى حدثت صباح اليوم فحسب ، نجحنا فى تسجيل كل شىء ، قبل أن نفقد الفريق الثانى أيضًا .

وبضغطة زر ، راحت الصور والمشاهد تتوالى على الجدار ، لتنقل تفاصيل ما حدث بمنتهى الدقة ..

هبوط الحوامات فى المنطقة ..

فحص النيزك ، ونتائجه العلمية ، بكل ما تحمله من معان مخيفة ..

ثم تلك العاصفة الرهيبة العجيبة ..

و ...

« هذا مستحيل !! »

هتف (نور) بالكلمة فى ذهول ، وهو يحدق فى الصور المقرّبة ، التى تعرض على الجدار ، والتى التقطتها الأقمار الصناعية ، للحظة بدء العاصفة ..

فعلى نحو شديد الوضوح ، بدا جدار الرمال الضخم ، أشبه بكائن عملاق ، ينهض من قلب الصحراء ، لينقض على الكل بمنتهى العنف والقسوة ..

كان له تكوين مذهل بحق ..

تكوين لم يصدق (نور) عينيه ، وهو يتطلع إليه ..

تكوين آدمى ..

* * *

« آدمى ؟! »

هتف أفراد الفريق بالكلمة فى ذهول ، وهم يحدقون فى وجه (نور) ، قبل أن يغمغم (رمزى) فى عصبية :

ـ آه .. هذا فقط يمكن أن يجبرهم على إعادتنا للعمل .

أدار (نور) عينيه فى وجوههم بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم :

- من المؤكد أنها ظاهرة خارقة ، وغامضة .. ومخيفة أيضًا ، ولقد تم إسناد مهمة دراستها وسبر أغوارها إلى فريقنا .

غمغمت (نشوى) :

- كان ينبغى أن أشعر بالسعادة ؛ لعودتنا إلى العمل بهذه السرعة ، ولكن الواقع أننى أشعر بخوف .

وارتجف صوتها ، وهى تضيف :

- خوف شديد .

تبادل الجميع نظرة صامتة ، وكأنما يعلنون اشتراكهم فى الشعور نفسه ، ثم لم يلبث (أكرم) أن التقط نفسًا عميقًا ، وقال فى توتر :

- فليكن .. المهم أننا قد عدنا إلى عملنا .

وحاول أن يبتسم فى توتر ، مضيفًا :

- فعلى الرغم من أننى أكره الأعمال المكتبية ،

إلا أننى ، ومنذ أعلنونا بإيقافنا عن العمل ، أشعر بشوق جارف إلى مكتبى ، فى مقر الفريق ، و ...

قاطعه (نور) متنحنحًا ، فالتفت إليه مع الجميع ، وقالت (سلوى) فى قلق :

- ما الذى تخفيه عنا بالضبط يا (نور) ؟!

تنحنح (نور) مرة أخرى ، وقال :

- الواقع يا رفاق أننا ، وفى هذه المهمة بالذات ، لن نعمل لحساب المخابرات العلمية ..

اتسعت عيونهم فى دهشة مصدومة ، وهتف (أكرم) مستهجنًا :

- ماذا تعنى بالله عليك يا (نور) ؟! كيف عدنا إلى العمل ، ما لم نعمل لحساب المخابرات العلمية ؟!

شد (نور) قامته ، وهو يجيب فى حزم :

- لقد قلناها واتفقنا عليها من قبل يا رفاق .. نحن نعمل من أجل (مصر) ، وليس لحساب جهة بعينها ، وانتماؤنا لها وحدها ، من أى موقع كان ..

تطلع إليه (رمزى) فى اهتمام ، قبل أن يعتدل ، ويسأله :

- (نور) .. ما الذى حدث فى وزارة الدفاع بالضبط ؟!

أجابه (نور) فى توتر :

- الذى حدث هو أن قرار العفو عنا مشروط .

سأله (أكرم) فى سرعة :

- بماذا ؟!

أجابه فى حزم :

- بأن نتولى هذه المهمة ، لحساب وزارة الدفاع .

سألته (سلوى) فى دهشة :

- ولماذا لحساب وزارة الدفاع ؟! إننا فريق علمى خاص ، يعمل لحساب المخابرات العلمية المصرية ؛ فلماذا يشترط العفو أن نعمل لحساب وزارة الدفاع هذه المرة ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وبدا عليه مزيج من التوتر والتفكير العميق ، وهو يجيب :

- هذا ما أخبرنى به الوزير .

سأله (رمزى) :

- ولكنك غير مقتنع بصحة هذا .. أليس كذلك ؟!

كان (نور) يدرك أنه ليس باستطاعته خداع خبير نفسى محنك ، مثل (رمزى) ، لذا فقد لاذ بالصمت بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى صلابة :

- هذا لا يهم .

وعندما رأى الدهشة على وجوههم ، أضاف فى قوة :

- إننا نعمل من أجل (مصر) .

ثم راح يتحرك فى عصبية ، متابعًا :

- ومما رويته لكم ، تدركون جميعًا أننا نواجه ظاهرة غير طبيعية ، لا بد من كشف غموضها ، قبل أن تمتد لسبب أو لآخر ، إلى (مصر) كلها .

ران عليهم صمت ثقيل لدقيقة كاملة ، قبل أن تغمغم (نشوى) :

ـ ولكن معداتنا كلها فى مقر الفريق يا أبى ، فكيف ...

قاطعها فى حزم :

ـ وزارة الدفاع ستمنحنا مقرًا مؤقتًا ، يحوى كل الأجهزة اللازمة لعملنا ، داخل جهاز البحث العلمى العسكرى ، وستوضع بين أيدينا كل الحقائق والمعلومات ، التى يمكن أن تفيدنا فى مهمتنا ، مهما بلغت سريتها ، بشرط ألا تخرج عن دائرة جهاز البحث .

غمغم (أكرم) فى عصبية :

ـ من الواضح أنهم يصرّون على سرية الأمر بشدّة .

شدّ (نور) قامته ، مجيبًا :

ـ أكثر مما تتصوّر .

تبادل الجميع نظرة متوترة ، ثم سألت (سلوى) فى خفوت :

ـ ومتى نبدأ عملنا ؟!

أدار (نور) عينيه فى وجوههم ، وقال :

ـ (رمزى) لن يصحبنا هذه المرة ؛ بسبب إصاباته من المواجهة السابقة .

قال (رمزى) معترضًا :

ـ وما صلة إصابتى بأمر كهذا يا (نور) ؟!

أجابه (أكرم) فى صرامة :

ـ ألم تتعلم طاعة الأوامر بعد أيها الجندى ؟!

قال (نور) فى صرامة أكبر :

ـ أنت أيضًا لن تشترك معنا يا (أكرم) .

كاد (أكرم) يقفز من مكانه ، وهو يصرخ فى غضب مستنكر مستهجن :

ـ أنا ؟! من يجرؤ على ...

قاطعه (نور) فى قوة :

ـ السيد وزير الدفاع يصرّ على الاستعانة بالأفراد اللازمين لدراسة الموقف فحسب .

هتف (أكرم) فى غضب :

ـ أيعنى هذا أن وجودى لا يلزم الفريق ؟!

تابع (نور) ، وكأنه لم يسمعه :

ـ من الناحية العلمية .

احتقن وجه (أكرم) ، وهو يهتف :

ـ ماذا تعنى ؟! هه .. ماذا تعنى ؟!

تطلّع إليه (نور) بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يقول :

ـ صدقنى يا صديقى .. إنه ليس قرارى .

ازداد احتقان وجه (أكرم) ، وهو يحدّق فيه ، قبل أن يقول فى خفوت :

ـ أعتقد أنه باستطاعتى فهم هذا .

ثم ربّت على كتف (رمزى) ، قائلاً :

ـ أتعشم أن تجيد بعض الألعاب ، فسنقضى الكثير من الوقت هنا .

حاول (رمزى) أن يبتسم ، وهو يغمغم :

ـ ما رأيك بالشطرنج ؟!

مطّ (أكرم) شفتيه ، هاتفًا :

ـ ربّاه ! حتى ألعابكم ترهق العقول .

مرة أخرى كان يتوقّع أن يبتسم أحدهم ، ولكن الجميع بقوا صامتين جامدين ، وهم يتطلعون إليهما بنظرة خاوية ..

ففى أعماق كل منهم ، وُلِدَ شعور كبير بأن هذه المهمة ستختلف ، عن كل المهام السابقة ..

ستختلف كثيرًا ..

المدهش أن نبوءتهم هذه كانت صحيحة تمامًا ..

فهذه المهمة سيكون لها طابع خاص ..

وفريد ..

ورهيب ..

* * *

تنحنح الدكتور (كريم) ، قبل أن يقول بصوته الهادئ الوقور الرصين :

ـ لقد وصل أفراد الفريق ، وتسلموا مقرهم الجديد يا سيادة الوزير .

تراجع وزير الدفاع فى مقعده ، قائلاً :

ـ عظيم .. من منهم وصل بالضبط ؟!

أجابه الدكتور (كريم) :

ـ المقدَّم (نور) ، وزوجته ، وابنته .

مطَّ الوزير شفتيه ، مغمغمًا :

ـ آه التشكيل العائلى .. يا للسخافة !

تطلَّع إليه الدكتور (كريم) بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يقول :

ـ أعتقد أنهم خبراء فى مجالهم يا سيادة الوزير .

قال الوزير فى ضيق :

ـ لو لم يكونوا كذلك ، لما أحضرناهم إلى هنا .

تردَّد الدكتور (كريم) لحظة ، ثم سأل فى حذر :

ـ ولكن لماذا أخبرتهم أن السيد رئيس الجمهورية قد أصدر عفوًا مشروطًا عنهم ؟!

سأله الوزير :

ـ وماذا فى هذا ؟!

قال الدكتور (كريم) فى حذر أكثر :

ـ حسب معلوماتى ، لم يصدر أى قرار بهذا الشأن ؛ فما زال قرار إحالتهم جميعًا إلى المحاكمة العسكرية ساريًا .

خُيِّل إليه لحظات أن الوزير لم يسمعه قط ، فقد بدا شاردًا ، غارقًا فى أفكار غامضة ، إلا أنه لم يلبث أن استدار إليه ، وقال :

ـ إنهم يستحقون العقاب .

اتسعت عينا العالم ، وهو يقول مستنكرًا :

ـ ولكنهم .

قاطعه الوزير فى صرامة :

ـ سيبذلون قصارى جهدهم ؛ لحل هذا اللغز ، وكشف ما حدث فى قلب الصحراء الغربية .. وربما ينجحون فى هذا بالفعل ، أو يلقون مصرعهم من أجله ، فإذا ما نجحوا ، قد يمكننى أن أغفر لهم ما فعلوه ، وأعيدهم إلى عملهم .

هتف الدكتور (كريم) :

ـ وماذا لو لقوا مصرعهم ؟!

صمت الوزير لحظة ، قبل أن يجيب بابتسامة غامضة :

ـ عندئذ تكون المشكلة قد انتهت .

واتسعت ابتسامته ، وهو يضيف :

ـ أليس كذلك ؟!

وانتفض جسد الدكتور (كريم) فى عنف ، وهو يحدق فى الوزير ..

وفى أعماقه ، نما شعور قوى ..

شعور لم يمكنه الإفصاح عنه ..

قط ..

* * *

للمرة الخامسة ، راجعت (نشوى) صور الأشعة ، وتقرير مقياس الطيف ، قبل أن تهز رأسها ، قائلة :

ـ مستحيل .. طبقًا لكل هذا ، نحن أمام جسم كروى ، يبلغ قطره أربعة أمتار ، مصنوع من مادة التيتانيوم ، المقاومة للكسر والخدش ، يتم استخدامها منذ النصف الثانى من القرن العشرين ، ونظرًا لتحملها للحرارة الشديدة ، لصنع مركبات الفضاء ، وبعض أقمار الاتصالات .

أضافت (سلوى) ، والحيرة لم تفارق صوتها بعد :

ـ وذلك الجسم الكروى له كثافة منخفضة ، بشكل يوحى بأنه مفرغ من الداخل .

التقى حاجبا (نور) ، وهو يسألهما :

ـ هل تعرفان ما يعنيه هذا ؟!

تطلعتا إليه بتساؤل ، فأضاف فى توتر شديد :

ـ يعنى أننا لسنا أمام نيزك عادى ، أو أى تكوين طبيعى آخر .. إننا أمام جسم يصلح لأن يكون ...

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى عصبية :

ـ مركبة فضائية .

تبادلتا نظرة متوترة ، وغمغمت (نشوى) :

- ولكنها مدفونة هناك ، منذ ملايين السنين ، كما تقول الفحوص الجيولوجية الأولى .

قالت (سلوى) ، وهى تلوِّح بيدها :

- مستحيل أن تكون هناك مركبات فضاء ، منذ ملايين السنين .

انعقد حاجبا (نور) مرة أخرى ، وهو يتمتم :

- من يدرى ؟!

ران على ثلاثتهم صمت ثقيل ، وكل منهم يراجع المعلومات مرة أخرى ، ثم لم تلبث (سلوى) أن قطعت الصمت ، قائلة :

- دعونا نراجع ما سجلته الأجهزة ، على نحو مباشر .

غمغمت (نشوى) :

- هذا أفضل بالتأكيد .

ضغط (نور) زر العرض ، وراحت (سلوى) تراجع كل البيانات ، التى سجلها (م م - ١) لحظة فلحظة ، ثم هزَّت رأسها ، قائلة :

- من الواضح أن البث لم يكن بالنقاء الكافى ، لينقل الصور فى وضوح ..

قال (نور) :

- وماذا عما سجلته الأقمار الصناعية ؟!

هزَّت كتفيها ، قائلة :

- لا بأس .. ربما يأتى بجديد ..

ضغط (نور) زرًّا آخر ، فراحت الشاشة تعرض كل ما سجلته أقمار المراقبة الصناعية ، حتى بلغت تلك اللحظة ، التى نهض فيها العملاق الرملى من قلب الصحراء ، فامتقع وجه (نشوى) ، وهى تغمغم :

- يا إلهى ! يا إلهى ! إنه يبدو بالفعل كتكوين آدمى ، ولكن احتمالات الخداع البصرى ...

ولكن (سلوى) هبت من مقعدها فجأة ، وهى تقول فى انفعال :

- أوقف العرض يا (نور) .. أوقفه .

أوقف (نور) العرض فى سرعة ، والتفت يسألها :


ومع التغيرات التى أحدثتها فى الصورة ، اتضح المشهد أكثر وأكثر ..

ـ ماذا هناك بالضبط ؟!

ضغطت أحد أزرار جهاز العرض ، قائلة :

ـ يخيّل إليّ أننى قد لمحت شيئًا عجيبًا !

أعادت المشهد بضع لحظات إلى الخلف ، ثم أوقفته ، وأشارت إلى الشاشة ، قائلة فى توتر بالغ :

ـ هل تريان هذا ؟!

تطلّع كلاهما إلى الرمال ، التى تصنع تكوينًا شبه بشرى ، وغمغم (نور) فى حيرة :

ـ وما هذا بالضبط ؟!

أسرعت تضغط أزرار الكمبيوتر المتصل بشاشة العرض ، قائلة :

ـ دعونا نقرّب المشهد أكثر ، ونرفع درجة تركيزه .. هل تريان ما أراه الآن ؟!

ومع التغيرات التى أحدثتها فى الصورة ، اتضح المشهد أكثر وأكثر ..

واتسعت عيون (نور) و(نشوى) عن آخرهما ..

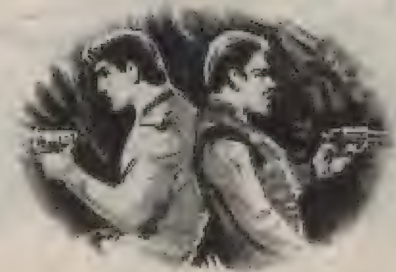
فعلى شاشة الجهاز ، كان ذلك الجزء الذى أشارت إليه (سلوى) ، وسط التكوين الرملى العملاق ، يبدو بوضوح أشبه بوجه ..

وجه بشرى ، يحمل كل غضب ومقت الدنيا ، على نحو مخيف ..

ورهيب ..

للغاية .

* * *



٤ - نبض الصحراء ..

« كم أكره هذا ! »

هتف (أكرم) بالعبارة فى حنق ، وهو يطوّح قطعة الشطرنج بعيدًا ، قبل أن يهب من مجلسه ، مستطردًا فى عصبية :

- لماذا لم تذهب معهم ؟! إننا فريق واحد ، وكلمة فريق تعنى أن يعمل الكل معًا .

قال (رمزى) فى هدوء :

- هذه المرة استثناء من القاعدة ..

قال (أكرم) فى حدة :

- وهذا يملأ نفسى بالسأم .

ضحك (رمزى) فى إجهاد ، قائلاً :

- الرفاق انصرفوا منذ ساعة واحدة .

مطّ (أكرم) شفتيه ، وقال فى عصبية :

- عجبًا ! تبدو لى أشبه بدهر كامل .

هزّ (رمزى) رأسه ، وقال مبتسمًا :

- سرعان ما تعتاد الأمر .

قال (أكرم) فى حنق ساخط :

- أى أمر ؟! البقاء فى المنزل ورعاية الصغيرين ؟!

قال (رمزى) :

- كان ينبغى أن تستعين بزوجتك (مشيرة) .

لوّح (أكرم) بذراعه ، هاتفًا :

- (مشيرة) منشغلة طوال الوقت فى عملها .

وعضّ شفتيه ، مضيفًا :

- وأنا هنا أرعى الصغار .

تطلّع إليه (رمزى) بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يقول فى جدية :

- لا تلق على نفسك كل هذا العبء النفسى يا (أكرم) .. ما يحدث الآن مجرّد ظرف طارئ ،

وسينتهى حتمًا ، إن عاجلاً أو آجلاً ، فاطرح عن رأسك تلك الأفكار والتقاليد القديمة ، وتقبّل الأمور بصدر رحب .

ضمّ (أكرم) شفتيه فى قوة ، قبل أن يغمغم فى مرارة :

- إننى أحاول .. صدقنى .

ربّت (رمزى) على كتفه ، وتنهّد ، قائلاً :

- إننى أصدّقك .

واستعاد ابتسامته ، التى امتزجت بكثير من الإشفاق ، وهو يتابع :

- خبرتى تساعدنى على فهم وإدراك طبيعة الحرب المستعرة فى أعماقك ، فـ (أكرم) الثائر دائمًا ، المفعم بالنشاط والحيوية ، والذى يكره الروتين والنمطية ، وسيطرة التكنولوجيا الحديثة ، بقدر ما يحب عمله ويعشقه ، يجد نفسه فجأة مستبعدًا من الفريق ، فى مهمة خاصة جدًا ، لمجرّد أنه لا يمتلك خبرات علمية كافية ! كم يحنقك ويغيظك هذا !

مطّ (أكرم) شفتيه مرة أخرى ، وقال :

ـ يغيظنى أكثر قدرتك المدهشة ، على قراءة ما أخفيه فى أعمق أعماقى .

ضحك (رمزى) ، وقال :

ـ إنك لا تستطيع إخفاء مشاعرك قط يا صديقى .

غمغم (أكرم) فى مرارة :

ـ ربما لأننى لم أحاول أبدًا .

انفرجت شفتا (رمزى) ؛ ليقول شيئًا ما ، لولا أن ارتفع رنين هاتف الفيديو بغتة ، فوثب إليه (أكرم) ، وضغط زره ، قائلاً فى لهفة :

ـ لعله (نور) .

تعلقت عينا (رمزى) بشاشة الهاتف ، التى تألقت لحظة ، ثم ظهرت عليها صورة (مشيرة) ، وهى تهتف فى ارتياع :

ـ (أكرم) .. ما أمر المحاكمة هذا ؟! لماذا أخفيته عنى ؟!

انعقد حاجبا (رمزى) فى توتر ، فى حين قال (أكرم) فى حدة :

ـ أية محاكمة ؟!

هتفت :

ـ المحاكمة التى تقرر تقديمكم إليها .. أعنى الفريق كله ، بتهمة تعريض أمن وسلامة البلاد للخطر .

قال فى دهشة :

ـ وكيف علمت بأمر كهذا ؟!

أجابت فى حدة :

ـ يا له من سؤال ! إننى رئيسة تحرير أول وأكبر جريدة مرئية فى التاريخ ، ولدى عدد من أشهر وأبرع المراسلين وجامعى الأنباء .

لم يرق له تفاخرها هذا ، على الرغم من الغضب الذى رنّ وسط كلماتها ، فقال فى شىء من الصرامة :

- المعلومات التى وصلتك قديمة ، لقد انتهى الأمر ، وصدر عفو شامل عنا ، و ...

قاطعته فى دهشة مستنكرة :

- عفو شامل ؟! ومتى حدث هذا ؟!

أسعده أن يفاجئها بخبر جديد ، فقال فى شيء من الشماتة :

- منذ أكثر من ساعتين .. ألم يبلغك مراسلوك بهذا ؟!

قالت فى حزم :

- مستحيل ! مصدرى داخل مقر الرياسة يحتلّ منصبًا كبيرًا ، ولن تتجاوزه معلومة كهذه ، ولقد أبلغنى بأمر المحاكمة منذ دقائق قليلة فحسب .

بُهت لجوابها ، وقال فى حدة :

- مستحيل ! لقد صدر قرار العفو بالفعل .

أجابت فى حزم أكثر :

- لم يحدث هذا أبدًا .. قرار إحالتكم للمحاكمة هو آخر قرار وقّعه السيد رئيس الجمهورية اليوم .. هذا أمر مؤكّد تمامًا .

اتسعت عيناه فى ارتياع لا محدود ، وهو يردد :

- أمر مؤكّد .

وشرد ببصره مع أفكاره بضع لحظات ، هتفت (مشيرة) خلالها :

- لماذا لم تخبرنى يا (أكرم) ؟!

لم يبد حتى أنه قد سمعها ، وهو يلتفت إلى (رمزى) ، هاتفًا بكل غضب الدنيا :

- الأوغاد .. لقد خدعونا .

وقبل أن يجيب (رمزى) أو يعلّق ، اندفع (أكرم) خارج المكان كالصاروخ ، و (مشيرة) تصرخ عبر هاتف الفيديو :

- (أكرم) .. ماذا حدث يا (أكرم) ؟! ماذا حدث ؟!

ولكنه ، حتى فى هذه المرة ، لم يسمع حرفًا واحدًا مما نطقته ..

لقد اشتركت حالة التوتر ، التى غرق فيها حتى النخاع ، مع المعلومة التى باغتته بها ، ليفجّرا فى أعماقه قنبلة من المشاعر والانفعالات ..

قنبلة لا يمكن أن تهدأ فى سهولة ..

أبدًا ..

* * *

انعقد حاجبا وزير الدفاع فى شدة ، وهو يتطلّع إلى المشهد المكبّر ، لذلك الجزء من العاصفة الرملية العاتية ، وقال فى حدة :

- مستحيل ! إنه خداع بصرى فحسب .

هزّ الدكتور (كريم) رأسه ، قائلاً :

- لو أنه كذلك ، فهى أقوى حالة توافق عشوائى رأيتها ، فى حياتى كلها ، تلك التى تصنع وجهًا متقنًا إلى هذا الحد .

قال الوزير فى عصبية :

- لا يمكننى تصديق هذه الخزعبلات .. هذا يذكرنى بذلك الوجه على المريخ ، الذى التهمته عوامل التعرية التى صنعته(*).

قال الدكتور (كريم) فى حزم :

- الأمر هنا يختلف تمامًا يا سيادة الوزير ، فنحن نتحدّث عن مصادفتين فى آن واحد ، تؤكّد كل منهما الأخرى ، بحيث تفقدان صفة التصادف .. لقد ميّزنا ما يشبه تكوينًا آدميًا ، مصنوعًا بأكمله من الرمال ،

(*) وسط الصور التى أرسلتها المركبة (فويجر) ، فوجئ العلماء بتكوين يشبه تمامًا وجهًا بشريًا ، لكائن وهمى ، يرقد على ظهره ، لقد بلغت مساحة ذلك الوجه عدة كيلومترات ، وبدا متناسقًا متقنًا ، على نحو أكد العلماء استحالة حدوثه بفعل عوامل جوية طبيعية عشوائية ، ومنذ ذلك الحين ، وعلى الرغم من أن الوجه قد اختفى تقريبًا ، فى الصور الحديثة ، إلا أن الدراسات والنظريات ، حول منشئه وتعليل وجوده ، لم تنته حتى هذه اللحظة ، ويمكن للدارس متابعة هذا ، عبر الإنترنت ، بالبحث عن عنوان : (Face on Mars) ، عبر أية شبكة معلومات .

ينهض من قلب الصحراء ، ثم رصدنا تضاريس وجهه الغاضب الصارم .

قال الوزير فى إصرار :

ـ مستحيل ! مازلت أصرّ على أنه مجرّد خداع بصرى .

قالت (سلوى) فى هدوء حازم :

ـ هذا أمر يسهل التأكّد منه .

التفت إليها ، قائلاً فى حدة :

ـ كيف أيتها العبقرية ؟!

أجابته بنفس الهدوء ، وهى تلتفت إلى جهاز الكمبيوتر :

ـ باستخدام أحد برامج الرسم ثلاثية الأبعاد .

قال فى صرامة :

ـ وبمَ يفيد هذا ؟!

تابعت عملها ، مجيبة :

ـ نستطيع أن نعتبر هذه الصورة مجرّد هيكل أوّلى لرسم ثلاثى الأبعاد ، ثم نطلب من البرنامج أن يكسو الرسم بغشاء جلدى آدمى ، وإكمال المشهد كله ، تبعًا لتدرّج الضوء والظل .

انعقد حاجبا الوزير مرة أخرى ، وهو يقول فى حذر :

ـ لست أظن أن ..

قبل حتى أن يتمّ عبارته ، كان الكمبيوتر قد بدأ عمله بالفعل ..

وبسرعة مدهشة ، راح يكسو الصورة بغشاء له لون الجلد البشرى ..

وازداد انعقاد حاجبي الوزير ، حتى كادا يمتزجان بين عينيه ، فى حين شهق الدكتور (كريم) ، هاتفًا :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

هذا لأن الكمبيوتر لم يكتف بتكوين وجه آدمى بالغ الوضوح ، يحمل كل آيات الغضب والمقت فحسب ..

لقد امتدّ ليكسو الجسد بأكمله ..

الجسد العملاق ..

وخلال دقيقة واحدة ، اكتملت الصورة ثلاثية الأبعاد ..

صورة عملاق هائل أصلع ، حاد القسمات ، غاضب إلى حد الاشتعال ، ثائر كألف ألف بركان ، ينقضّ بشراسة رهيبة على الفريق كله ..

ولدقيقة أخرى ، لم ينبس أحدهم ببنت شفة ..

ثم غمغم (نور) :

- هذا ما نواجهه .

تمتم الوزير ذاهلاً :

- مستحيل !

ثم انتفض فى قوة ، قبل أن يضيف فى صرامة عصبية :

- لا يمكن أن يكون هذا ما نواجهه .

قال (نور) فى حزم :

- ربما يكون أمرًا يصعب تصديقه ، وظاهرة خارقة للمألوف ، يعجز العقل الواقعي عن استيعابها ، ولكنها ما نواجهه بالضبط .

قال الوزير فى حدة :

- هل تحاول إقناعي بأنه هناك مخلوقات من رمال ، هاجمت الفريق العلمى العسكرى كله ؟!

أجابه (نور) بنفس الحزم :

- الله (سبحانه وتعالى) قادر على خلق كل شىء ، وبث الحياة فى أى تكوين يشاء .. لقد خلقنا (عزّ وجلّ) من طين ، وخلق الملائكة من نور ، والجن من نار ، ولن يدهشنى أن يخلق (سبحانه وتعالى) كائنات من رمال .

صمت الوزير بضع لحظات ، فى توتر شديد ، قبل أن يقول :

- ولكن حتى هذا لا يفسر ما حدث .

قالت (سلوى) فى سرعة :

- ولكنه يضع أيدينا على أول الخيط .

بدت (نشوى) قلقة مهمومة ، إلى حد كبير ، فسألها (نور) :

ـ ألديك مخاوف أخرى ؟!

انتفضت ، وكأنها تفيق من حلم مخيف ، وحدقت فى والدها لحظة ، قبل أن تقول فى توتر بالغ :

ـ إنها كلمة نطق بها سيادة الوزير .

سألها الوزير فى حذر :

ـ أية كلمة ؟!

ازدردت لعابها فى صعوبة ، قبل أن تجيب :

ـ كلمة مخلوقات .

أطل التساؤل من عيونهم جميعًا ، فتابعت متوترة :

ـ سيادة الوزير لم يتحدث عن مخلوق عملاق واحد ، بل تحدث تلقائيًا ، دون أن يدرى ، عن مخلوقات ، مما جعلنى أتساءل : ترى هل توجد مخلوقات رملية أخرى ، بخلاف ذلك العملاق الرهيب .

اتسعت عيونهم جميعًا فى ارتياع ، مع هذا الافتراض المخيف ، وغمغم الدكتور (كريم) ، فى توتر بالغ :

ـ وأين يمكن أن توجد مخلوقات كهذه ؟!

أشارت بيدها إلى الشاشة ، مجيبة :

ـ هنا .

تطلع الجميع فى توتر بلا حدود ، إلى حيث أشارت ..

إلى ذلك الجسم المعدني الكروى ، القابع تحت ثلاثين مترًا فى رمال الصحراء ، منذ ملايين السنين ..

ولم ينبس أحد بحرف واحد ..

كان الافتراض مخيفًا مفزعًا رهيبًا ..

ولكنه منطقى ..

إلى حد يضاعف كل هذا ألف مرة ..

وطال الصمت ..

طال أكثر مما ينبغى ، قبل أن يغمغم الوزير :

- ستكون كارثة .

قال (نور) فى صرامة :

- هذا لو أنه هناك صلة مباشرة ، بين ذلك الجسم الكروى وعملاق الرمال الغامض هذا .

هزّت (سلوى) رأسها ، قائلة :

- ليس لدى دليل مؤكد يا (نور) ، ولكن كل شىء يوحى بوجود تلك الصلة .

قال فى حذر :

- ربما توحى كل الأمور بهذا ، ولكن ..

قاطعته ، قائلة :

- لا تنس أننى لم أقم بعملى بعد .

سألها الوزير فى صرامة :

- ما الذى تعنيه عبارتك هذه ؟! هه .. ما الذى تعنيه ؟! لقد صنعت هذه الصورة .. أليس كذلك ؟!

أجابته فى هدوء عجيب :

- تكوين الصورة مجرد لعبة ، يقوم بها برنامج رسم ثلاثى الأبعاد ، وهذا ليس مجال تخصصى .. أنا خبيرة صوتيات .

سألها فى اهتمام :

- وما شأن الصوتيات هنا ؟!

أجابه الدكتور (كريم) هذه المرة ، بصوته الهادئ الوقور الرصين :

- الموجات الإشعاعية المرتدة ، عن (م م - ١) ، تحمل فيما تحمل ، أية ذبذبات يمكن أن تصدر عنه .

ابتسمت (سلوى) ، قائلة :

- بالضبط .

ثم تابعت فى سرعة :

- وتلك الذبذبات ، إن وجدت ، ستمنحنا الكثير والكثير من المعلومات والنتائج .

صمت الوزير بضع لحظات ، قبل أن يقول :

- جسم مستقر في قلب الصحراء ، منذ ملايين السنين .. لست أعتقد أنه يمكن أن تصدر عنه أية ذبذبات .

أجابته في سرعة أيضًا :

- خطأ .

حدّق في وجهها بدهشة مستنكرة ، إلا أنها تابعت ، وكأنها لم تنتبه إلى هذا ..

- لقد لاحظت منذ البداية ، بحكم دراستي وخبرتي ، وجود ذبذبة منتظمة محدودة ، مع الانعكاس الإشعاعي الموجي .

بدا عليه الذهول ، وهو يهتف :

- ذبذبة ؟! أية ذبذبة ؟!

هزّت كتفيها ، قائلة :

- لم أقم بدراستها بعد .

بدا مزيج من الشك والحذر ، في ملامح الوزير ، وهمّ بقول شيء ما ، لولا أن ارتفع رنين هاتفه

الخاص بغتة ، فالتقطه من حزامه ، ورفعه إلى أذنه ، قائلاً :

- ماذا هناك ؟!

بدا عليه الاهتمام الشديد لنصف دقيقة ، وهو يستمع إلى محدثه في انتباه ، ثم شدّ قامته ، وقال في صرامة :

- أدخله تحت الحراسة إلى مكتبي ، وسأحضر لمقابلته فورًا .

ثم أنهى الاتصال ، ورفع رأسه إلى (نور) والآخرين ، وهو يقول لـ (سلوى) ، بلهجة حملت شيئًا من الخشونة :

- هيا .. ابدئي عملك يا خبيرة الصوتيات والموجات المرتدة ، وسأعود لمعرفة النتائج بعد قليل .

قالها ، وغادر المكان بخطوات عسكرية ثابتة ، وما إن تجاوز أبواب قاعة الفريق ، وأغلقها خلفه ، حتى مال إلى طاقم الحراسة الموجود أمامها ، قائلاً :

ـ لا أحـد يدخـل أو يخـرج ، إلا بإذن خـاص منى شخصيًّا .

أدى رجال الحراسة التحية العسكرية فـى قـوة ، وهتفوا فى آنٍ واحد :

ـ تمام يا سيادة الوزير .

تجاوزهم الوزير بنفس الخطوات العسكرية القوية ، وملامحه الصارمة تحمل ألف معنى ومعنى ..

وكلها معـان لا يمكـن أن تشـعر معهـا بالارتيـاح أو الأمان ..

قط ..

* * *

فى بعض المهن والمجالات ، قد لا تعنى كلمة خبير هـذه سـوى أن شخصًا ما قد مارس المهنة طويلاً ، وأدرك الكثير من أسرارها وخفاياها ..

أما فى العلم ، فالأمر يختلف تمامًا ..

إنك لا تحمـل قط لقـب خبيـر علمى ، إلا بعد أن

تغوص فى ذلك العلم حتى النخاع ، وتمتزج به روحك ونفسك وحواسك ، بحيث يصبح هو اهتمـامك الأوَّل ، الذى تحـرص علـى التزوُّد منـه ، فـى كل لحظـة من حياتك ، وتجد المتعة ، كل المتعة ، فى التعامل معه ، وسبر أغوار كل جديد فيه ..

وهذا ما يمتاز به كل فريق (نور) ..

دراسة عميقة ..

خبرة طويلة ..

ذكاء نادر ..

وإخلاص بلا حدود ..

وأهم من كل هذا ، قدرة مدهشة على التعامل دومًا بروح الفريق ..

الجميع للفرد .. والفرد للجميع ..

وعندما أعلنت (سلوى) وجود ذبذبة ما ، تمتزج بالموجـة الإشـعاعية المرتـدة ، لـم يشـك (نــور) و (تشوى) لحظة واحدة ، فى أنها على حق ..

على الرغم من أن كليهما لم يلمح تلك الذبذبة قط ..

حتى الدكتور (كريم) ، راح يراجع موجات (م م - ١) المرتدة ، قبل أن يقول فى حيرة :

- أية ذبذبة تلك ، التى تتحدثين عنها يا سيدة (سلوى) ؟!

أجابته فى هدوء ، وهى توصل أجهزتها بنتائج (م م - ١) :

- إنها ضئيلة للغاية ، ولن يمكنك ملاحظتها بسهولة .

هتف :

- ولا حتى بصعوبة ! إننى لا ألاحظها على الإطلاق .

ابتسمت ، قائلة :

- ولكنها موجودة .

ثم ضغطت زر جهازها ، مستطردة :

- وهذا الجهاز يمكنه فصلها عن الموجة الارتدادية ، مهما بلغ ضعفها أو بلغت ضآلتها .

مع آخر حروف كلماتها ، بدأ جهازها يصدر نبضات ضعيفة ..

ضعيفة حتى يمكن سماعها بصعوبة ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد انعقد حاجبا (سلوى) فى شدة ، وهى تغمغم :

- مستحيل !

هتف الدكتور (كريم) ، وكأنه لم يسمعها :

- رباه ! هناك ذبذبات بالفعل .

ثم اندفع نحو (سلوى) فى حماس ، مستطردًا :

- أنت عبقرية بالفعل يا سيدتى .

استوقفته بإشارة صارمة من يدها ، فتساءل فى حيرة :

- ماذا هناك ؟!

أشارت بيدها إلى مسماع جهازها ، قائلة :

- هذه النبضات .. من المستحيل أن تكون حقيقية .

سألها (نور) فى اهتمام :

- لِمَ لا ؟

هتفت فى توتر :

- لأن هذا مستحيل !

لم يكن جوابها يكفى ، إلا لمضاعفة غموض الموقف ، فتبادل الثلاثة نظرة حائرة متوترة ، وهم يستمعون جيدًا إلى تلك النبضات ، التى راحت (سلوى) ترفع شدتها رويدًا رويدًا ..

كانت تبدو مألوفة للغاية ، على الرغم من أنها تختلف عن أية ذبذبة إليكترونية معروفة ..

وفى حيرة ، غمغمت (نشوى) :

- لماذا تبدو لى تلك النبضات مألوفة ؟!

أجابتها (سلوى) فى انفعال :

- لأنك تسمعينها دائمًا ، حتى ولو لم تشعرى بوجودها .

سألها (نور) فى حذر :

- أية نبضات تلك ، التى نسمعها دائمًا ، ولكننا لا نشعر بوجودها أبدًا .

هتفت (سلوى) :

- لو كان (رمزى) هنا ، لأدرك طبيعتها على الفور ، ولبلغ ذهوله عشرة أضعاف ذهولى !

سألها الدكتور (كريم) ، فى توتر :

- لماذا ؟! ما طبيعة تلك النبضات بالضبط ؟!

رفعت (سلوى) شدة النبضات أكثر ، وهى تقول :

- ألم تدركوا ماهيتها بعد ؟!

انتبه (نور) إلى الحقيقة ، فى تلك اللحظة بالذات ، عندما ربط عباراتها ببعضها ، وهتف :

- رباه ! هل تعنين أنها ...

قاطعته بانفعال :

- نعم يا (نور) .. إنها نبضات قلب .. قلب بشرى ..

وانتفض الجميع فى عنف ..

فقد كانت مفاجأة بحق ..

مفاجأة مذهلة .

* * *

٥ ـ الرمـال ..

انحفرت الصرامة بكل صورها ، على وجه وملامح وزير الدفاع ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، ويواجه (أكرم) فى برود ، قائلاً :

ـ رجالى أخبرونى أنك تصرَ على مقابلتى شخصيًا .

سأله (أكرم) فى عصبية :

ـ أين (نور) و (سلوى) و (نشوى) ؟!

سأله الوزير ببرود أكثر :

ـ وما شأنك بهذا ؟!

قال (أكرم) فى حدة :

ـ أين الرفاق ؟!

تحرك الحارسان الخاصـان فى توتر ، وامتدت يد أحدهم نحو مسدسـه ، ولكـن الوزيـر أشـار إليهمـا بالتوقف ، وهو يقول :

ـ هل تدرك أنك تتحدّث إلى وزير ؟!

قال (أكرم) غاضبًا :

ـ بل أدرك أننى أتحدّث إلى رجل خدعنا جميعًا ، وأوهمنا بعفـو زائـف ، حتى يعمل الفريق لحسابه ، بدلاً من المخابرات العلمية .

انعقد حاجبا الوزير فى توتر شديد ، وهو يقول :

ـ من أين أتيت بهذه المعلومات السخيفة ؟!

أجابه (أكرم) فى تحدّ :

ـ من مصدر موثوق به ، داخل رياسة الجمهورية نفسها .. مصدر أكّد أنه لم يصدر أى عفو عنا ، وأن آخر قرار وقعه رئيس الجمهورية ، هو قرار إحالتنا إلى المحاكمة ، بتهمـة تعريض أمن وسلامة الوطن للخطر .

ازداد انعقاد حاجبى الوزير ، وهو يتطلّع إليه فى غضب ، قبل أن يقول فى بطء شديد الصرامة :

ـ ما الذى تريده بالضبط ؟!

أجابه (أكرم) فى حزم :

- أريد رفاقي ، ولن أغادر هذا المكان بدونهم قط .

اعتدل الوزير ، وتألقت عيناه فى غضب ، وهو يقول :

- بل لن تغادره على الإطلاق .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى تحرّك حارساه فى سرعة عجيبة ، و ...

وانقضّا على (أكرم) ..

وما إن أمسك أحدهما ذراعه ، حتى دار (أكرم) على عقبيه ، فى سرعة تستحق الإعجاب ، وهوى على فك أولهما بلكمة كالقنبلة ، ثم انحنى يلكم الثانى فى معدته ، ثم يرفعه على ظهره ، ويلقى به أرضًا فى عنف ..

ولكن الرجل الأول هبّ واقفًا ، واستلّ مسدسه ، فهتف به الوزير :

- لا دماء .

هتف (أكرم) ، وهو يثب نحو الحارس :

- أشكرك .. هذا يمنحنى فرصة أفضل .

ولكن الحارس الثانى اعترض طريقه بغتة ، وهو يهتف :

- كما تتوهَّم .

ثم لكم (أكرم) فى معدته بعنف ، فى نفس اللحظة التى هوى فيها الحارس الآخر على فكه بماسورة مسدسه ..

ودار رأس (أكرم) فى عنف ، وضرب الهواء بقبضته ، وهو يصرخ :

- أيها الـ ...

قبل أن تكتمل عبارته ، هوى أحد الحارسين على مؤخرة عنقه بضربة عنيفة ، ثم لكمه الثانى لكمتين متتاليتين ، تفجرتا كقنبلتين محدودتين .

وأظلمت الدنيا دفعة واحدة ..

ثم سقط (أكرم) أرضًا .

وفقد الوعي ..

وفى سرعة وغضب ، هبط أحد الحارسين على ركبته ، ورفع قبضته فى قوة ، ليهوى بها على مؤخرة عنق (أكرم) ، و ...

« قلت لا دماء .. »

تجمدت قبضة الحارس فى الهواء ، مع انطلاق هتاف الوزير الصارم ، ونهض الحارسان فى وقفة عسكرية ، وكلاهما يلهث فى قوة ، فتابع الوزير :

ـ احتجزوه فى الزنزانة الاحتياطية ، فى مبنى ضباط الحراسة ، حتى أصدر أوامرى بشأنه .

سأله أحد الحارسين :

ـ وماذا عن الآخرين ؟!

هزّ الوزير كتفيه ، وهو يجيب فى بطء :

ـ ربما يكون أفضلهم حظًا ..

قالها ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ..

ابتسامة غامضة ..

كثيرًا ..

* * *

احتشدت موجة هائلة من الانفعال ، فى صوت ولهجة الدكتور (كريم) ، وهو يلوّح بسبابته ، سائلاً (سلوى) :

ـ أأنت واثقة مما تقولين يا سيدتى ؟! أعنى ألك خبرة بصوت نبضات القلب الطبيعية ؟!

أجابته ، وهى تضغط أزرار جهازها فى سرعة :

ـ الأمر لا يحتاج إلى خبرات شخصية .. انظر إلى المنحنى الذى سترسمه الذبذبات على الشاشة .

اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدق فى المنحنى المألوف ، الذى ارتسم على شاشة الجهاز ..

منحنى لا يمكن أن يخطئه أى طبيب ..

إنها نبضات قلبية منتظمة ..

وسليمة ..

نبضات قلب يتمتع بكل الصحة والقوة ..

فى أعماق الصحراء ..

ولثوان ، لم ينبس أحدهم ببنت شفة ، حتى قطع (نور) هذا الصمت ، قائلاً :

ـ أيعنى هذا أنه يوجد كائن ما ، داخل ذلك الجسم الكروى ؟!

أجابته (نشوى) :

ـ لو أن هذا صحيح ، فهو كائن بشرى ..

ردَّد الدكتور (كريم) مبهوتًا :

ـ بشرىّ ؟!

قالت ، (مشيرة) إلى المنحنى :

ـ هذا المنحنى ، بإيقاعه ، هو نبضات قلب بشرى سليم ، كما يشير جهاز أمس ، ومعلوماتى المحدودة تدرك أن المنحنى الذى يمكن أن يرسمه قلب حيوان عادى ، يختلف حتمًا عن المنحنى الذى يرسمه القلب البشرى .

قالت (سلوى) فى حزم :

ـ هذا ما يؤكده جهاز الفحص أيضًا ، فبداخله آلاف الذبذبات المسجلة مسبقًا ، وهو ينتقى منها ما يتشابه مع الذبذبة المعزولة ، ومؤشراته تحدّد درجة التوافق

والتشابه ، وهى تشير هنا إلى مائة فى المائة ، مما يعنى التطابق التام .

حدّق الدكتور (كريم) فى منحنى النبضات مرة أخرى ، قبل أن يهتف :

ـ ولكن هذا مستحيل !

قالت (سلوى) فى حزم :

ـ النتائج لا تكذب .

أجابها فى توتر :

ـ لست أتشكّك فى نتائج أجهزتك ، على الرغم من غرابتها ، ولكننى أتحدّث عن حقائق علمية محضة .. ذلك الشىء ، أيًّا كانت ماهيته ، مدفون فى رمال الصحراء منذ ملايين السنين ، ولو أن بداخله كائنًا بشريًا ، له قلب نابض ، فكيف يمكن أن يظلّ على قيد الحياة ، كل هذا الوقت ؟! أعنى أن نبضات القلب تعنى أن الزمن يمضى به ، مثلما يمضى بنا .. أليس كذلك ؟!

قال (نور) ، فى تفكير عميق :

ـ ربما قضى كل تلك الملايين من الأعوام ، فى حالة تجمُّد ، أو سبات صناعي ، على نحو ما .

هتف الدكتور (كريم) :

ـ ما الذى أيقظه الآن إذن ؟!

أجاب (نور) فى سرعة وحزم :

ـ جهاز (م م ـ ١) .

انفرجت شفتا الدكتور (كريم) ، ليعترض على هذا التفسير ، إلا أن حاجباه التقيا فجأة ، وهو يردِّد :

ـ الجهاز ؟!

قال (نور) :

ـ نعم .. جهاز (م م ـ ١) .. أو بمعنى أدق ، تلك الموجات ، التى أطلقها (م م ـ ١) ، فى قلب الرمال ، والتى بلغت الجسم الكروى ، قبل أن ترتد محدِّدة هويته .

هتفت (نشوى) فى حماس :

ـ هذا احتمال وارد .. ربما كان لموجات الجهاز

تأثير جانبى ، لم ندرك ماهيته بعد ، ولكنه أثَّر فى الجسم الكروى ، على نحو أيقظ معه أجهزته الداخلية .

قال الدكتور (كريم) فى انبهار :

ـ وأيقظ ذلك الرابض داخله !

هتفت (نشوى) :

ـ بالضبط .

نقلت (سلوى) عينيها إليهم ، قبل أن تقول فى حزم :

ـ معذرة ، ولكن من المستحيل أن يكون هذا التفسير صحيحًا .. ليس مائة فى المائة على الأقل .

سألها (نور) فى اهتمام :

ـ لماذا ؟!

أشارت إلى نتائج الفحص الموجى ، مجيبة :

ـ طبقًا لما لدينا ، فجسم ذلك الكيان الكروى مصنوع

من مادة (التيتانيوم) ، وهو عنصر فلزى نادر ، كشفه (جريجور) ، عام ١٧٩٠م(*)، وليس منذ ملايين السنين ، ومن أهم سماته أنه غير منفذ للأصوات بسهولة .

سألها (نور) فى حذر متوتر :

- ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

أجابت فى حزم :

- يعنى أن تلك النبضات لم تأت من داخل ذلك الجسم الكروى .

(*) التيتانيوم : عنصر فلزى نادر ، يتميَّز بالصلابة ومقاومة الخدش ، وتضاف نسبة مئوية بسيطة منه إلى الصلب ، لتزيد من متانته ، ومقاومته للشد ، ويعتبره البعض معدن المستقبل ، على الرغم من ندرته ، فى صناعة أقمار الاتصالات ، وبلورات ثانى أكسيد التيتانيوم لها أعلى معامل انكسار معروف (٢ر٧) ، لذا فهى تستخدم فى صناعة الماسات المقلدة ، ولكن ليست لها أية قيمة كأحجار كريمة .

تفجَّرت الدهشة فى وجوههم جميعًا ، و (نور) يسألها :

- من أين أتت إذن ؟!

ازدردت لعابها ، قبل أن تجيب :

- من الجسم نفسه ؟!

وكانت مفاجأة جديدة ..

مفاجأة أكثر عنفًا ..

* * *

« لا يمكننى تصديق حرف واحد من هذا »

هزّ وزير الدفاع رأسه فى قوة ، وهو ينطق عبارته ، قبل أن يشير بيده فى صرامة ، قائلاً :

- لو أن هذا ما كنتم تفعلونه ، فى جهاز المخابرات العلمية ، فهذا يعنى أننى كنت محقًا تمامًا ، عندما طلبت إلغاءه منذ زمن .

أجابه (نور) فى هدوء :

- هذا بالفعل ما كنا نفعله ، طوال عملنا فى المخابرات

العلمية .. أن نبحث عن الحقائق بأسلوب علمى محض ، حتى لو كانت تلك الحقائق عجيبة غريبة ، وصعبة التصديق .

سأله الوزير ، فى شىء من السخرية :

- وكنتم تحققون النجاح بهذه الخزعبلات .

أجابه (نور) بنفس الهدوء المستفز :

- بل وأنقذنا العالم أكثر من مرة أيضًا .

انعقد حاجبا الوزير فى ضيق ، وهو يقول فى حدة :

- حتى ولو فعلتم هذا ، لن يمكنكم إقناعى قط ، بأن ذلك الجسم الكروى المجهول ، ينبض كأى قلب بشرى .

قالت (سلوى) هذه المرة :

- الاقتناع وعدم الاقتناع لا يعنيان شيئًا هنا يا سيادة الوزير .

استدار إليها فى غضب شديد ، فتابعت :

- معذرة لو أن عبارتى لم تلق قبولاً لديك ، ولكننا علميون ، والعلم لا يدحضه إلا العلم ، وحقائقه لا تقبل الجدل ، إلا بأسلوب علمى أيضًا .. لقد سجل الجهاز نبضات قلبية واضحة ، انعكست عن ذلك الجسم الكروى ، ونحن نبحث عن تفسير علمى لهذا ، ولا يمكننا رفض أو قبول أية نظرية ، إلا بناء على معلومات علمية أخرى .

قال الوزير فى حدة :

- حتى ولو كانت نظرية سخيفة غبية .

أجابته (نشوى) :

- لا توجد فى العلم نظريات سخيفة أو غبية ، لأن كل نظرية تستند حتمًا إلى مجموعة من الحقائق ، أو حتى الافتراضات العلمية ، أو ...

رفع الوزير يده ، يقاطعها فى عصبية :

- فليكن .. لن نناقش هذا طوال الوقت ..

ثم أشاح بوجهه ، فى محاولة لإخفاء غضبه وانفعاله ، قبل أن يتابع :



رفع الوزير يده ، يقاطعها فى عصبية : ـ فليكن .. لن نناقش هذا طوال الوقت .. ثم أشاح بوجهه ، فى محاولة لإخفاء غضبه وانفعاله ..

ـ المهم الآن هو : كيف سنحسم مثل هذا الأمر ؟!

قالت (نشوى) فى سرعة :

ـ هذا يحتاج إلى إعادة فحص ذلك الجسم ، بناء على المعلومات الجديدة ..

خفق قلب الدكتور (كريم) فى عنف ، واتسعت عيناه فى ارتياع ، في نفس الوقت الذى تألقت فيه عينا الوزير ، وكأنما وضع يده على ما أراد ، وهو يقول :

ـ عظيم .. ومن سيقوم بهذا الفحص الجديد ؟!

تبادل (نور) نظرة صامتة ، مع زوجته وابنته ، وانعقد حاجبا الدكتور (كريم) فى توتر بالغ ، فى حين تابع الوزير بابتسامته الغامضة :

ـ هذا يحتاج إلى فريق علمى من طراز خاص ، اعتاد المجازفة ، ومواجهة المخاطر الغامضة ، ويمتلك في الوقت ذاته الكفاءة العلمية ، اللازمة لكشف أسرار ما يواجهه ، و ...

قاطعه (نور) فى حزم :

- لا يمكننى أن أجازف بفريقى ، فى مهمة كهذه يا سيادة الوزير .

سأله الوزير فى سرعة :

- ولِمَ لا ؟! إنها ليست أول مرة .

أجاب (نور) :

- فى كل المرات السابقة ، كنا نواجه خطرًا يمكن للبشر التصدّى له ، مهما بلغت صعوباته ، أو بلغ عنفه ، أما فى هذه المرة ، فنحن نواجه عاصفة عاتية ، تتخذ تكوينًا بشريًا عملاقًا ، أى أننا نواجه خطرين فى آن واحد ، أحدهما غامض خارق للطبيعة ، والآخر ، وهو الأكثر عنفًا وخطورة ، وهو الطبيعة نفسها .

انعقد حاجبا الوزير ، وهو يسأله :

- ماذا تعنى ؟!

أجاب فى حزم ، لا يخلو من الصرامة :

- أعنى أن أحدًا ، عبر التاريخ كله ، لم ينجح قط ، فى مواجهة الطبيعة .. كل القوى ، التى صنعها البشر ، تنهار تمامًا ، أمام تقلبات الطبيعة .. كل التكنولوجيا الحديثة فشلت فشلاً ذريعًا ، فى منع نتائج الفيضانات والأعاصير ، والزلازل والبراكين ..

ثم شدّ قامته ، مضيفًا :

- الطبيعة ، التى خلقها الله (سبحانه وتعالى) ، هى العدو الذى لا يُقهر أبدًا يا سيادة الوزير .

هزّ الوزير كتفيه ، قائلاً :

- المفترض ، طبقًا لنظرياتكم الـ .... العلمية .. أن الأمر ليس طبيعة محضة ، أليس كذلك ؟!

أجابته (سلوى) ، فى حزم بدا شبيهًا بحزم زوجها :

- بلى ، ولكنه يحمل قوة الطبيعة .

صمت الوزير بضع لحظات مفكرًا ، قبل أن يقول :

- هل تخشون أن تقتلعكم العاصفة ؟!

أجابته (نشوى) فى توتر :

- إنها لا تقتلع فحسب يا سيادة الوزير ، وإلا لأمكن العثور على الضحايا ، أو أشلائهم ، أو المعدات ، أو حتى حطامها ، فى مكان ما من الصحراء .. ما يحدث فعليًا هو أنها تسحق كل شىء سحقًا ، حتى لا يتبقى منه ما يكفى للعثور عليه ..

وأضافت (سلوى) ، بصوت مرتجف :

- ربما تحوّل كل هذا إلى رمال .

قال الوزير فى صرامة :

- ولكن لا بد من اقتلاع الشىء من مكانه ، قبل أن يتحوّل إلى أى شىء آخر .. أليس كذلك ؟!

قال (نور) فى حذر :

- هذا صحيح .

استعاد الوزير ابتسامته الغامضة ، وهو يملأ صدره بنفس قوى ، ويشدّ قامته عن آخرها ، قائلاً :

- عظيم .. ماذا إذن لو كانت هناك وسيلة مؤكّدة ، تمنع تلك العاصفة ، أيًّا كانت طبيعتها ، من اقتلاعكم من أماكنكم ؟!

انعقد حاجبا الدكتور (كريم) فى توتر ، فى حين سأل (نور) الوزير :

- وكيف هذا ؟!

أجاب الدكتور (كريم) :

- الواقع أنه ...

قاطعه الوزير فى صرامة :

- أنه ماذا ؟!

احتقن وجه الرجل ، وارتجفت شفتاه ، قبل أن يخفض عينيه فى توتر ، فتبادل (نور) نظرة أخرى ، مع زوجته وابنته ، ثم قال :

- سيادة الوزير .. هل ...

قاطعه الوزير فى صرامة أكبر :

- لم تجب سؤالى بعد .. ماذا لو منعنا اقلاعكم ؟!

بدا القلق على وجهى (سلوى) و (نشوى) ، وتطلعتا إلى (نور) ، الذى استغرق فى التفكير بضع لحظات ، قبل أن يقول بحذر أكبر :

- فى هذه الحالة ..

قاطعه الوزير :

- عظيم .

بدت الدهشة على وجه (نور) ، ولكن الوزير تجاهل هذه الدهشة ، وهو يواصل فى حزم صارم :

- استعدوا إذن ؛ فستحملكم الحوامات إلى المنطقة (ص) فجر الغد .

ثم أشار إلى الدكتور (كريم) ، مستطردًا :

- اتبعنى .

تردّد العالم الوقور بضع لحظات ، ثم تبعه خارج قاعة الفريق ..

ولثوان ، لم يعلّق (نور) أو (سلوى) أو (نشوى) بحرف واحد ، وثلاثتهم يتطلعون إلى الباب ، الذى عبره الوزير منذ لحظات ..

ثم فجأة ، هتفت (سلوى) فى حنق :

- ما هذا الأسلوب ؟!

غمغم (نور) :

- أسلوب الوزير .

قالت (نشوى) فى عصبية :

- هل سنطيع أوامره ؟!

هزّ (نور) كتفيه ، قائلاً :

- ألديك بديل آخر ؟!

قالت فى حدة :

- هل سنقبل هذه المهمة الانتحارية ؟! كلنا يعلم أن الرحلة إلى المنطقة (ص) رحلة بلا عودة .. هذا ما أصاب كل من سبقنا .

صمت بضع لحظات ، قبل أن يجيب :

- ربما كانت هناك وسيلة ما .

قالت (سلوى) فى توتر :

- أية وسيلة ؟! أنت قلتها بنفسك يا (نور) .. الطبيعة هى السلاح الوحيد ، الذى لا يمكن لبشر مقاومته .

هزَّ رأسه ، قائلاً :

- ولكن يبدو أنه هناك وسيلة ما .. الدكتور (كريم) كاد يفصح عنها ، لولا أن استوقفه الوزير .

مطَّت (نشوى) شفتيها ، قائلة :

- إنها وسيلة غير مضمونة حتمًا ، وإلا لاستخدموها مع الفريق السابق .

قال فى حزم :

- عندما رحل الفريق السابق ، لم يكن يعلم شيئًا عما سيواجهه .

غمغمت (سلوى) :

- هل تعتقد أن هذا هو السبب الوحيد ؟!

انعقد حاجبا (نور) بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم :

- من المؤكد أن ذهابنا إلى المنطقة (ص) سيحمل بعض الخطر والغموض ، ولكن هذه مهنتنا ، ولقد اعتدنا مواجهة كل خطر وكل غموض ، ما دام الأمر يحتم هذا .. إننا جنود ، والجنود لا ينصرفون عن المعركة ؛ لأن شبح الموت يحوم فوقها .. سنؤدى واجبنا ، مهما كانت المخاطر ، وسنسعى لكشف الغموض ، ما دام هناك أدنى أمل للنجاة .

ثم شدَّ قامته ، مضيفًا :

- أنا ذاهب إلى المنطقة (ص) عند الفجر ، لو اقتنعت بأن تلك الوسيلة ، التى تحدَّث عنها الوزير ، يمكن أن تؤمِّن لنا الحد الأدنى من الحماية .

تبادلت (سلوى) نظرة متوترة مع ابنتها ، ثم قالت :

- ونحن سنتبعك إلى الجحيم ، لو اقتضى الأمر .

هزَّت (نشوى) كتفيها ، وهى تقول :

- من يدرى ؟! ربما كان الجحيم أقل هولاً .

نقل (نور) بصره بينهما ، ثم قال فى حزم :

ـ المهم أن نؤدى واجبنا .

أومأت (نشوى) برأسها موافقة ، ثم عادت إلى الكمبيوتر ، وضغطت أزراره ، وكأنما تنشغل به عن خوفها المبهم ، من رحلة الفجر ..

وتبعتها (سلوى) فى صمت ، يشف عن أنها تشاركها نفس المشاعر والمخاوف ..

أما (نور) ، فقد انتحى ركنًا ، وراح يفكّر فيما يحدث ..

لقد دفعهم الوزير دفعًا إلى تلك المغامرة ..

تمامًا كما لو أنه قد دبّر الأمر كله منذ البداية .

والسؤال هو : لماذا ؟!

ما الذى يسعى إليه ؟!

بل ما الذى يخفيه عنهم ؟!

أو عن الجميع !

« يا إلهى ! »

انتزعه هتاف (نشوى) من أفكاره ، فالتفت إليها ، هاتفًا :

ـ ماذا حدث ؟!

ارتجف صوتها ، وهى تجيب :

ـ برنامج الرسوم ثلاثى الأبعاد لم يتوقّف ، منذ مرحلة إعادة تكوين الوجه ، وإنما امتدّ إلى كل الخامات المشابهة ، فى الصورة كلها ..

سألتها (سلوى) فى دهشة قلقة :

ـ ولماذا أفزعك هذا ؟!

ارتجفت سبابة (نشوى) كصوتها ، وهى تجيب ، مشيرة إلى شاشة الكمبيوتر الكبير :

ـ انظرا .

واستدارت عيونهما إلى الشاشة ..

ثم اتسعت عن آخرها ..

فقد كان المشهد رهيبًا ومخيفًا ..

بشدة .

* * *

٦ ـ الظاهرة ..

ارتفع حاجبا (رمزى) فى دهشة ، وهو يتطلّع إلى (مشيرة) ، التى بدت فى حالة مزرية للغاية ، على عكس المألوف ، وهى تقف أمام المنزل ، هاتفة فى توتر شديد :

ـ أين (أكرم) ؟!

أفسح الطريق ، وهو يدعوها إلى الدخول ، مجيبًا :

ـ لست أدرى .. لقد انصرف من هنا كالصاروخ ، إثر اتصالك ، ولم يُفصح عن وجهته .

اندفعت داخل المنزل ، فى عصبية بالغة ، وهى تقول :

ـ إنه متهوِّر دائمًا .. أخشى ما أخشاه أن يرتكب حماقة ما ، تزيد من صعوبة الموقف .

سألها (رمزى) فى اهتمام قلق :

ـ أخبرينى .. هل يمكنك التيقن من خبر عدم صدور عفو شامل ، أو ...

قاطعته متوترة :

ـ لا يوجد أدنى شك فى هذا .

التقى حاجباه ، وهو يقول :

ـ فى هذه الحالة ، لابد أن نبلغ القائد الأعلى .

لوَّحت بذراعها فى يأس ، قائلة :

ـ وما الذى يمكن أن يفعله ؟

قالتها ، وتركت جسدها يهوى على مقعد قريب ، ثم دفنت وجهها فى كفيها ، مستطردة فى مرارة :

ـ كيف يمكن أن ينتهى الحال بكم هكذا ؟! كيف ؟!

كان يشعر بمثل مرارتها ، ولكنه حاول أن يخفى هذا فى أعماقه ، وهو يتجه نحو هاتف الفيديو ، قائلاً :

ـ ليست هذه هى المشكلة الآن .

هتفت :

- ليست المشكلة ؟! ألا تدركون ما تواجهونه بالضبط ؟! لقد استشرت المستشار القانونى لجريدة الفيديو ، فأكّد لى أن تهمة كهذه ، فى محاكمة عسكرية ، لا يمكن أن تكون عقوبتها سوى الإعدام رميًا بالرصاص .

تجمّدت يده فى طريقها لهاتف الفيديو ، وامتقع وجهه بشدة ، وهو يردّد :

- الإعدام ؟!

لوّحت بذراعها مرة أخرى ، هاتفة فى ألم :

- ماذا كنتم تتصوّرون ؟!

لم تكد تتمّ عبارتها ، حتى ارتفع رنين هاتفها الخلوى ، فالتقطته من حقيبتها فى سرعة ، وهتفت :

- ماذا لديك ؟!

كان من الواضح أنها تستمع إلى أحد مصادرها ، فقد انحفرت على وجهها علامات التفكير العميق ، ولاذت بالصمت طويلاً ، ثم لم تلبث أن سألت محدّثها ، فى عصبية بالغة :

- أأنت واثق من هذا ؟!

واستمعت لحظات أخرى ، ثم قالت فى حزم متوتر :

- أريد متابعة دقيقة دائمة للموقف .. أبلغنى أية معلومات جديدة على الفور .. هل تفهم ؟!

ثم أنهت المحادثة ، وقالت بصوت أكثر امتقاعًا من وجهها :

- (أكرم) فى وزارة الدفاع .

سألها (رمزى) :

- ماذا يفعل هناك ؟!

ازدردت لعابها فى صعوبة ، قبل أن تجيب بصوت شاحب :

- معتقل .

كاد يثب مكانه ، وهو يهتف :

- ماذا ؟!

أشارت بيدها ، قائلة :

- يقول مصدرى : إنه تشاجر مع الوزير ، الذى أمر باعتقاله ، حتى أوامر أخرى .

انعقد حاجبا (رمزى) ، وهو يسألها :

ـ وماذا عن (نور) و(سلوى) و(نشوى) ؟!

أجابت بصوت حمل رنة أسى واضحة :

ـ كلهم هناك .

ثم هزت رأسها ، مضيفة فى صوت أقرب إلى البكاء :

ـ ولكن (أكرم) وحده معتقل .

ازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يقول :

ـ ولكن لماذا فعل الوزير هذا ؟! لماذا خدعنا جميعًا ؟!

هزت رأسها ، قائلة :

ـ هذا لا يبدو لى أشبه بالنوايا الطيبة .

غمغم فى حزم :

ـ بالتأكيد .

ثم ضغط زر هاتف الفيديو ، مضيفًا :

ـ لذا فمن المحتم أن نبلغ الإدارة .

تألقت شاشة الهاتف بضع لحظات ، ثم ظهرت عليها رسالة بحروف كبيرة :

ـ الاتصال بهذه الجهة غير متاح .

اتسعت عينا (مشيرة) ، وهى تقول :

ـ رباه ! لقد اتخذوا احتياطاتهم ، بعد اعتقال (أكرم) .

حدق (رمزى) فى الشاشة ، قبل أن يقول فى عصبية :

ـ رباه ! ما الذى يحدث بالضبط ؟! ما الذى يحدث ؟!

التقطت (مشيرة) هاتفها الخلوى ، وهى تقول :

ـ ربما يمكننا أن ..

بترت عبارتها بغتة ، وبدت عليها علامات التفكير العميق ، فسألها (رمزى) فى توتر :

ـ فيم تفكرين ؟!

التفتت إليه ، متسائلة :

ـ هل تعتقد أن الاتصال بالقائد الأعلى للمخابرات العلمية يمكن أن يفيد ؟!

قال فى عصبية :

- على الأقل هو لن يضر .

نهضت قائلة :

- ولن يفيد أيضًا ، وإلا لما صدر قرار إحالتكم للمحاكمة ، على الرغم من أنف الجميع .

تطلَّع إليها لحظة فى حيرة ، قبل أن يسألها :

- (مشيرة) .. فيم تفكرين ؟!

استعادت حزمها التقليدى ، وراحت تعدِّل هندامها وتصفيفة شعرها ، وهى تجيب :

- فى العبارة التى نطقت بها ، عندما أتيت إلى هنا .

تساءل :

- أية عبارة ؟!

أشارت بيدها ، مجيبة :

- لا يمكن أن ينتهى بكم الأمر هكذا .

تضاعفت حيرته ، وهو يقول :

- وماذا عن العبارة ؟!

هزَّت كتفيها بهدوء عجيب ، قائلة :

- إنه ليس رأيى وحدى بالتأكيد .

تطلَّع إليها مرة أخرى فى حيرة ، وخاصة عندما حملت شفتاها ابتسامة غامضة ، على الرغم من دقة الظروف ، وسألها مكررًا فى حذر :

- فيم تفكرين بالضبط يا (مشيرة) ؟!

لوَّحت بيدها فى أناقة ، وهى تتجه نحو الباب ، قائلة :

- فى اختبار قوة الصحافة .

ثم أطلقت ضحكة أدهشته ، قبل أن تفتح الباب ، مضيفة :

- اهتم برعاية الصغيرين .

قالتها ، وأغلقت الباب خلفها ..

بمنتهى الحزم ..

* * *

ألم شديد ..

صداع ..

دوار ..

كل هذا شعر به (أكرم) ، وهو يستعيد وعيه فى بطء ..

وكفيلم سينمائى بطيء ، استعاد عقله الأحداث الأخيرة ، فى مكتب الوزير ..

المواجهة ..

الصدام ..

القتال ..

وبكل حنقه ، غمغم :

ـ أيها الأوغاد ..

ثم فتح عينيه ، وتطلَّع إلى ما حوله ..

كان يرقد داخل زنزانة صغيرة ، خافتة الأضواء ، رطبة الجدران ، تبدو بنافذتها العالية ، ذات القضبان الفولاذية ، أشبه بواحدة من زنازين القرون الوسطى ،

وخاصة مع الباب الضخم ، الذى يحتل ثلثى أحد جدرانها تقريبًا ..

ونهض (أكرم) ، ليجلس فى ركن الزنزانة ، محاولاً استعادة كامل وعيه وشعوره ..

وفى كل لحظة تمضى ، كان غضبه وسخطه يتضاعفان أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ثم فجأة ، نهض بمنتهى الحيوية والنشاط ، واتجه نحو الباب الضخم ، ودق بقبضته عليه فى عنف ، هاتفًا :

ـ أخرجونى من هنا .

برز وجه الحارس أمامه ، عبر فتحة صغيرة بالباب ، وهو يقول فى صرامة :

ـ اصمت أيها السجين .

قال (أكرم) فى حدة :

ـ لست سجينًا لأحد ، واعتقالى هنا غير قانونى وغير شرعى ، وأطالب بالخروج فورًا .

ابتسم الحارس الضخم فى سخرية ، قائلاً :

ـ الخروج ؟! لا يمكنك الخروج من هنا ، إلاَّ إذا أصدر سيادة الوزير شخصيًّا أمرًا بهذا ، أو ...

بتر عبارته دون مبرِّر ، فقال (أكرم) في حدة :

ـ أو ماذا ؟!

تطلَّع إليه الحارس لحظة فى شماتة ، ثم قال فى غلظة ساخرة :

ـ أو كنت فى طريقك إلى قبرك .

مضت دقيقة كاملة ، وكلاهما يتطلَّع إلى الآخر فى تحد ، قبل أن يبتسم (أكرم) فجأة ، قائلاً :

ـ فكرة ممتازة .. أشكرك .

ارتفع حاجبا الحارس فى دهشة ، فى حين تراجع (أكرم) ، عائدًا إلى ركن الزنزانة ، وجلس يرتكن إليه مرة أخرى ، وقد نمت فى أعماقه فكرة جديدة ..



وفى كل لحظة تمضى ، كان غضبه وسخطه يتضاعفان أكثر ..

وجريئة ..

جريئة للغاية ..

* * *

لم يدر (نور) و(سلوى) كم بقيا يحدقان فى ذلك المشهد الرهيب ، الذى صنعه برنامج الرسم ثلاثى الأبعاد على الشاشة ..

رسم لم يبد فيه ذلك العملاق الأصلع المخيف ، وهو يهاجم فريق البحث الثانى فحسب ..

لقد امتدّ تأثير البرنامج ، ليكسو كل المواد المشابهة ، بذلك الغلاف الشبيه بالجلد الآدمى ..

كل الرمال ..

وهكذا صنع تلك اللوحة الرهيبة ..

لوحة بدا فيها فريق البحث ، وكأنما يقف على جلد آدمى هائل الحجم ، يبرز منه ذلك العملاق الأصلع عند الشرق ، وتبرز منه رءوس وأذرع أخرى عملاقة ، من كل المنطقة المحيطة ..

أو بصورة أدق ، كان الأمر يبدو وكأن عشرات من عمالقة الرمال يشقون الصحراء ، ليلتهموا الفريق العلمى العسكرى ، بكل أدواته وأسلحته ..

ومعداته ..

وغمغم (نور) ذاهلاً :

- رباه ! من كان يتصوَّر هذا ؟!

قالت (سلوى) فى انبهار :

- إنه ليس عملاقًا رمليًا واحدًا إذن .

هزَّت (نشوى) رأسها فى قوة ، وكأنما تحاول طرد هذه الصورة المفزعة منها ، وهى تقول :

- المشهد يبدو وكأن الصحراء كلها تنبض بالحياة .

قال (نور) :

- إنها تنبض بالفعل ، ولقد سجلت الأجهزة نبضها ..

هتفت (نشوى) :

- الواقع يا أبى أنها أعجب ظاهرة رأيتها ، فى حياتى كلها .. أراهن على أن ما التقطته الأجهزة هو نبض قلوبهم .

قالت (سلوى) فى حزم متوتر :

- كلا .. الجهاز لم يلتقط نبضات قلوب ، بل نبض قلب واحد .

سألها (نور) بغتة :

- ما حجمه ؟!

أدهشها السؤال فتساءلت حائرة :

- ماذا تعنى ؟!

سألها فى اهتمام :

- ما حجم ذلك القلب ، الذى سجّل الجهاز نبضاته ؟! أعنى أهو مجرّد قلب بشرى عادى ، أم قلب عملاق ؟!

انعقدت حاجباها ، وهى تقول :

- لم يخطر هذا ببالى قط .

قال :

- ولكن بإمكانك التوصّل إلى هذا .. أليس كذلك ؟!

بدا عليها التوتر بضع لحظات ، ثم قالت فى تردّد :

- لست أدرى يا (نور) .. لن يكون هذا سهلاً أبدًا .

قال مشجعًا :

- ولكنه ليس مستحيلاً .

تردّدت لحظة أخرى ، قبل أن تقول :

- الرمال ليست وسطًا مناسبًا ، لنقل الذبذبات والأصوات ، وذلك الجسم يرقد على عمق ثلاثين مترًا منها ، ولولا قوة جهاز (م م - ١) ، والأشعة الجديدة التى يستخدمها ، لما أمكن رصد تلك النبضات أساسًا .

قال فى اهتمام أكبر :

- ولكننا حصلنا عليها بالفعل .

تنهّدت ، قائلة :

- هذا صحيح .

وهزّت رأسها ، مضيفة :

- على الأقل يمكننى أن أحاول .

ابتسم ، قائلاً :

- عظيم .

لم يكد ينطقها ، حتى اقتحم أحد رجال الحراسة المكان ، فى خشونة غليظة ، وهو يقول :

ـ سيادة الوزير يطلب مقابلتك .

بدا الغضب على وجه (نور) ، وهو يقول :

ـ ألم تتعلَّم كيف تدخل أى مكان أيها الجندى ؟!

تجاهل الجندى العبارة ، وهو يكرِّر بنفس الخشونة :

ـ سيادة الوزير يطلب مقابلتك فورًا .

صاح فيه (نور) بغضب أكبر :

ـ أد التحية العسكرية أيها الجندى :

ـ انتفض جسد الحارس رهبة ، وشد قامته ، وهو يضرب كعبيه ببعضهما ، ويؤدى التحية العسكرية فى قوة ، فقال (نور) ، وهو يرد التحية العسكرية فى اعتداد صارم :

ـ هيا .. قدنى إلى الوزير .

ثم التفت إلى زوجته وابنته ، مضيفًا :

ـ سأعود فى أسرع وقت ممكن .. واصلا عملكما .

تابعتاه ببصرهما ، حتى غادر الحجرة ، ثم غمغمت (سلوى) فى عصبية :

ـ ما يحدث هنا لا يروق لى .. لا يروق لى أبدًا :

لم تعلِّق (نشوى) على العبارة ، إلا أن شيئًا ما فى أعماقها كان يشعر أن الأمر أخطر مما تتصوَّر أمها ..

أخطر بكثير ..

* * *

« كل هذا لا يروق لى أبدًا يا سيادة الوزير .. »

نطق الدكتور (كريم) العبارة فى توتر بالغ ، وهو يهزّ رأسه فى قوة ، متابعًا :

ـ المدرَّعة (صلب) لم تختبر بعد ، وهى معدَّة أساسًا لحمل قواعد الصواريخ الموجَّهة ، وكل مهمتها أن تمتص رد الفعل ، عن طريق الانتشار الأرضى ، ولا يمكننا أن نضمن صلاحيتها ، فى أمر كهذا ، بعد ما شاهدنا عنف العاصفة .

أجابه الوزير فى برود :

- احتفظ بمخاوفك السخيفة هذه لنفسك ، وسيسير كل شىء على ما يرام .

هزّ الرجل رأسه مرة أخرى ، وقال :

- لست أعتقد أن (صلب) ستحتمل طويلاً .

ابتسم الوزير ، قائلاً :

- يكفينى أن تحتمل ، حتى ينقل إلينا ذلك المقدم وعائلته كل النتائج .

تساءل الدكتور (كريم) فى قلق :

- ثم ؟!

مطّ الوزير شفتيه ، مجيباً فى لا مبالاة :

- ثم فليذهب كل شىء إلى الجحيم .

واستعاد ابتسامته ، مضيفاً :

- وكل شخص .

اتسعت عينا العالم فى هلع ، وهو يحدق فى الوزير غير مصدق ، ثم لم يلبث أن قال فى عصبية :

- خطأ يا سيادة الوزير .. هذا الأسلوب فى العمل خطأ جسيم .

هتف الوزير بغضب هادر :

- خطأ ؟! كيف تجرؤ على تجاوز حدودك على هذا النحو يا رجل ؟! أنت مجرد مستشار علمى ، وليس من حقك أن تتدخل فى الاستراتيجية العامة للوزارة .

قال الدكتور (كريم) فى حدة ، وكأنما لم يعد بإمكانه احتمال ما يحدث :

- استراتيجية مدمرة ، تذكرنى باستراتيجية الوزارة السابقة ، التى قادتها إلى تجاوز كل قواعد الشرعية ، والتورط فى محاولة انقلاب عقيمة فاشلة ، كان فيها نهايتها(*).

احتقن وجه الوزير فى شدة ، وهو ينهض من مقعده ، قائلاً بغضب هادر :

- ما زلت تتجاوز حدودك ؟!

هتف الدكتور (كريم) :

(*) راجع قصة (الغزاة) .. المغامرة رقم ١٢٤

- أظنني أقل من يتجاوز الحدود ، فى هذه الحجرة ، وأقل من ..

قاطعته صرخة هادرة من الوزير :

- اخرس .

وبضغطة زر ، اندفع طاقم الحراسة إلى الحجرة ، فصاح فيهم ، وهو يلوّح بسبابته فى وجه المستشار العلمى :

- اعتقلوا هذا الرجل .

اتسعت عينا الدكتور (كريم) فى ذعر ، وهو يهتف مستنكرًا :

- سيادة الوزير ..

تابع الوزير فى غضب شديد :

- لقد حاول اغتيالى .

دارت عينا الدكتور (كريم) فى محجريهما ، وهو يهتف :

- أنا ؟!

رمقه الوزير بنظرة نارية ملتهبة ، وهو يواصل حديثه لحراسه :

- لقد شاهدتم هذا بأنفسكم .. أليس كذلك ؟!

مال أحد الحراس ، وانتزع مسدسًا مدنيًا من حذائه ، ودسه فى يد الدكتور (كريم) ، قائلاً بابتسامة ساخرة :

- بالتأكيد يا سيادة الوزير .

حدّق المستشار العلمى فى المسدس بذعر ، ثم ألقاه أرضًا فى حدة ، هاتفًا :

- أهذه هى الاستراتيجية ، التى تتحدّث عنها ؟! أن تتحوّل وزارة الدفاع ، درع البلاد وسيفها ، إلى منظمة إجرامية حقيرة ، كل مهمتها تجاوز القوانين وتلفيق التهم للأبرياء .

برقت عينا الوزير ، وهو يقول فى غضب صارم :

- أضيفوا تهمة إهانة وزير ، وهو يؤدى عمله ، وتحفظوا على هذا المسدس ، فهو يحمل بصماته ، ويعد الدليل المادى المؤكد ، على محاولته اغتيالى .

احتقن وجه الدكتور (كريم) ، وهو يصرخ :

- يا للحقارة !

أشار الوزير بيده فى حدة ، هاتفًا :

- خذوه .

جذب رجال الحراسة الرجل فى غلظة وقسوة ، وهو يصرخ :

- لن تنجو بفعلتك هذه .. لن تنجو أبدًا .

تألقت عينا الوزير ، وهو يتمتم :

- أنت لا تفهم شيئًا أيها الغبى .

وعاد يجلس على مقعده ، وعيناه تتألقان أكثر وأكثر ، على نحو عجيب ، وهو يستدير ليلقى نظرة على صورة وجهه ، المنعكسة على زجاج النافذة المجاورة ..

ولثوان ، بدا وكأن الزجاج يهتز على نحو غريب ..

ولكن الواقع أن الزجاج لم يهتز أبدًا ..

وجه الوزير هو الذى فعلها ..

لقد راح يرتج ، ويتموج على نحو مدهش ، كما لو أنه جسم جيلاتينى مرن للغاية ..

أو كأننا أمام ظاهرة أخرى خارقة ..

ظاهرة غير بشرية ..

وعلى شفتى الوزير ، ارتسمت ابتسامة عجيبة ..

ابتسامة شيطانية ..

ولكن فجأة ، دق باب الحجرة ، وارتفع صوت من خلفه ، يقول فى احترام :

- المقدم (نور) يا سيادة الوزير .

وبسرعة مدهشة ، توقفت التموجات ، واستعاد وجه الوزير هيئته البشرية ، فتحسسه بيده ، قائلاً فى صرامة :

- أدخله .

دلف (نور) إلى حجرة الوزير ، وأدى التحية العسكرية ، قائلاً :

- المقدم (نور الدين) .

تراجع الوزير فى مقعده ، وهو يسأله فى برود :

ـ هل استعد فريقك لأداء المهمة فجر الغد ؟!

قال (نور) فى حزم :

ـ ليس قبل أن نطمئن إلى وسيلة الحماية يا سيادة الوزير .

مطَّ الوزير شفتيه ، وهو يقول :

ـ هكذا .

ثم نهض من خلف مكتبه ، مستطردًا فى صرامة :

ـ وماذا لو قلت لك : إنه أمر مباشر أيها المقدَّم ؟!

هزَّ (نور) كتفيه ، وقال :

ـ لا يمكنك أن تصدر لأى مخلوق أمرًا بالانتحار يا سيِّدى .

قال الوزير فى صرامة :

ـ لو أمرت طاقم حراستى بإطلاق النار على نفسه الآن ، لفعل بلا تردُّد .

ابتسم (نور) فى هدوء ، وهو يقول :

ـ سيسعدنى فى الواقع أن أرى تجربة عملية لهذا .

انعقد حاجبا الوزير فى غضب ، وهو يتطلَّع إليه بنظرة نارية أخرى ، ثم لم يلبث أن اعتدل ، قائلاً :

ـ إجابة ذكية وخبيثة أيها المقدَّم .. فليكن .. سأريك وسيلة الحماية .

ثم اتجه إلى أحد جدران مكتبه ، وضغط زرًّا خفيًّا فيه ، فخفتت أضواء الحجرة ، وأضيئت شاشة كبيرة ، تحتلّ معظم الحائط ، وراحت تعرض بعض المشاهد المتتابعة لعربة مدرعة كبيرة ...

وفى شىء من الزهو والثقة ، قال الوزير :

ـ هل تبدو لك مناسبة ؟!

ولم يجب (نور) ..

بل وربما لم يسمع حتى سؤال الوزير ..

لقد شغلته تلك المشاهد تمامًا ..

المشاهد التى تثبت أن وسيلة الحماية مناسبة .. مناسبة للغاية .

* * *

٧ ـ كل الخطر ..

لم تكد عقارب الساعة تعلن تمام التاسعة ، حتى أشار رئيس الجمهورية إلى مساعده الأول ، قائلاً :

ـ موعد نشرة الأخبار الرئيسية ، لجريدة (أنباء الفيديو) .. دعنا نر كيف تسير الأمور والأحداث .

أشعل مساعده جهاز الهولوفيزيون المجسَّم ، وهو يبتسم ، قائلاً :

ـ المفترض أننا من يصنع الأحداث يا سيادة الرئيس .

تنهَّد الرئيس ، قائلاً :

ـ ربما هذا ما يتصوَّره الناس ، ولكن الحقيقة أن الأحداث تجرى دائمًا بأسرع مما يسمح للبشر بصنعها كلها .

غمغم المساعد ، وهو يتراجع إلى مقعده :

ـ بالتأكيد يا سيادة الرئيس .. بالتأكيد .

اعتدل الرئيس في مقعده ، وتطلَّع فى اهتمام إلى الشاشة المجسمة ، التى عرضت الموسيقى المميزة لنشرة الأخبار الرئيسية ، قبل أن تظهر (مشيرة) على الشاشة ، فابتسم الرئيس ، قائلاً :

ـ لا بد أنه خبر بالغ الأهمية ، ذلك الذى دفع رئيسة تحرير الجريدة نفسها إلى الظهور ، فى بداية النشرة .

مع آخر كلماته ، بدأت (مشيرة) حديثها ، قائلة فى حزم :

ـ سيداتى آنساتى سادتى .. خبر اليوم مدهش وعجيب .. ولكنه مؤكَّد أيضًا .. خبر اليوم لم يكن من الممكن قط أن نتصوَّر سماعه بالأمس القريب .

انعقد حاجبا الرئيس فى اهتمام مترقِّب ، فى حين غمغم مساعده :

ـ ترى أى خبر هذا ؟!

تابعت (مشيرة) بنفس الحزم :

ـ لسبب ما ، لم يتم الإعلان عنه ، أو الإفصاح عن أسبابه ، قرّرت القيادة السياسية إحالة المقدّم (نور الدين محمود) ، بطل التحرير ، وقاهر غزاة الفضاء والذى حرّر الأرض كلها من احتلال قهرى رهيب ، وأعاد إليها حريتها وحضارتها ، مع فريقه كله ، إلى محاكمة عسكرية ، بتهمة الإضرار بأمن وسلامة البلاد .

اتسعت عينا المساعد عن آخرهما ، فى حين انتفض جسد الرئيس فى قوة ، وغمغم فى توتر لا محدود :

ـ مستحيل ! كيف حصلت على هذه المعلومة ؟!

تابعت (مشيرة) :

ـ ونحن كجريدة ، تابعت تاريخ فريق المقدّم (نور) المشرّف ، وتضحياته العديدة من أجل الوطن .. بل من أجل الأرض كلها ، نتساءل ، كما سيتساءل المليارات ، فى كل أنحاء العالم : أية جريمة بشعة رهيبة تلك ، التى ارتكبها فريق المخابرات العلمية ، حتى يحمل تهمة عقوبتها الإعدام ؟!

التقى حاجبا الرئيس فى شدة ، وهتف مساعده فى حنق :

ـ تلك اللعينة تحاول إحراجنا .

هزّ الرئيس رأسه ، مجيبًا فى صرامة :

ـ بل لقد أحرجتنا بالفعل .

هتف المساعد :

ـ سيّدى الرئيس .. إننا ..

قاطعه الرئيس بإشارة صارمة من يده ، فابتلع باقى عبارته فى توتر ، فى حين قال الرئيس فى ضيق :

ـ لقد أحرجتنا أمام أنفسنا ، قبل أن تحرجنا أمام مواطنينا ، ومواطنى العالم أجمع .. كيف فعلنا هذا حقًا ؟! كيف نسينا كل ما فعله (نور) وفريقه من أجلنا ؟! كيف اتخذنا قرارًا بمحاكمتهم ، دون أن نلتفت إلى تاريخهم كله ؟!

قال المساعد :

ـ إصرار وزير الدفاع يا سيادة الرئيس .

قال الرئيس فى حدة :

- إصراره هذا كان أسخف شىء فعله ، فى تاريخه كله .. لست أدرى حتى لماذا فعل هذا ؟!

ثم التقط سماعة الهاتف ، متابعًا فى حزم :

- ولكن كل شىء يمكن إصلاحه .

سأله المساعد فى قلق :

- ماذا تنوى أن تفعل يا فخامة الرئيس ؟!

أجابه الرئيس فى صرامة :

- أنوى إصلاح الخطأ فورًا .

سأله المساعد فى قلق أكثر :

- كيف ؟!

أجابه ، وهو يضغط أزرار هاتف الفيديو أمامه :

- بطرق الحديد وهو ساخن .

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة ، فور أن بدأ الهاتف عمله ، وهتفت (مشيرة) على الشاشة ، فى اللحظة نفسها فى انفعال :

- سيداتى آنساتى سادتى .. مفاجأة لم تكن نتصور حدوثها .. فخامة رئيس الجمهورية يشرفنا باتصال مرئى مباشر .. مساء الخير يا سيادة الرئيس ، مرحبًا بك على شاشة (أنباء الفيديو) .

وانعقد حاجبا مساعد الرئيس فى توتر بالغ ..

فالذى يفعله الرئيس الآن ، سيسبب حتمًا أزمة أخرى ..

أزمة سياسية ..

أو عسكرية ..

وهذا الأكثر خطورة ..

* * *

« وسيلة آمنة إلى حد مدهش .. »

نطق (نور) العبارة في ارتياح كبير ، جعل (سلوى) و (نشوى) تتساءلان فى آن واحد :

- حقًا ؟!

أشار (نور) بيديه ، قائلاً :

ـ سيارة مدرعة جديدة ، تم تصميمها بحيث تحمل قاعدة صواريخ بعيدة المدى ، ولأن رد فعل إطلاق تلك الصواريخ قوى للغاية ، فقد زودت المدرعة بنظام تثبيت خاص ، بحيث تخرج من أمامها وخلفها وجانبيها أعمدة من الصلب القوى ، تنغرس لأربعة أمتار فى الرمال ، بالإضافة إلى ثقلها البالغ ، بحيث يصبح اقتلاعها من مكانها ضربًا من المستحيل .

تساءلت (نشوى) :

ـ حتى مع عاصفة كهذه ؟!

أجابها (نور) :

ـ رجال الجهاز العلمى العسكرى درسوا هذا الأمر ، وقاموا بقياس قوة العاصفة ، مما سجلته الأقمار الصناعية ، ووجدوا أن تلك المدرعة يمكنها الصمود فى وجه العاصفة طويلاً .

سألته (سلوى) :

ـ من أبلغك هذا ؟!

صمت لحظة ، قبل أن يجيب :

ـ الوزير شخصيًا .

بدا عليها التوتر ، وهى تقول :

ـ لست أدرى لماذا لا أشعر بالثقة تجاهه !

تنهد (نور) ، قائلاً :

ـ أنا أشاركك هذا الشعور ، ولكننى لم أجد مبررًا لخداعنا ، فى أمر كهذا .. لقد استعانت بنا وزارة الدفاع ، للقيام بهذه المهمة ، باعتبارنا أفضل فريق علمى ، وليس من مصلحتها تعريضنا لأى خطر كان .

تبادلت (نشوى) نظرة صامتة مع أمها ، قبل أن تقول :

ـ هذا منطقى بالتأكيد ، ولكن ..

سألها فى اهتمام:

ـ ولكن ماذا ؟!

ترددت لحظة ، ثم قالت فى حزم :

ـ لماذا لا نفحص هذا الأمر بأنفسنا ؟! ألا يمنحنا هذا شعورًا أكبر بالثقة والأمان ؟!

لم تدر أبدًا كم كان سؤالها عادلاً منطقيًا ، بالنسبة له ..

ربما لأنه جال بخاطره قبلها ..

بل وطرحه على الوزير مباشرة ..

لحظتها أجابه الوزير ، قائلاً :

ـ رجالنا أيضًا علماء وخبراء فى مجالهم أيها المقدّم ، ثم إن المدرّعة الجديدة (صلب) تعد أحد الأسرار العسكرية بالغة السرية ، ولن يمكننا منحكم تصميماتها ومقاييسها بهذه السهولة .

ثم ربّت على كتفه ، مضيفًا :

ـ ثق بنا أيها المقدّم .. نحن أصحاب المصلحة الأولى ، فى أن تنجح مهمتكم هذه .

تبريره أيضًا كان عادلاً منطقيًا ..

حتى ولو كان يتعارض مع رغبته ، ورغبة فريقه ..

وبصوت ، حاول أن يجعله مقتنعًا ، أجاب (نور) ابنته :

ـ أعتقد أنه ينبغى أن نمنحهم بعض الثقة .. أليس كذلك ؟!

لم تجب (نشوى) ، ولكن أمها قالت فى ضيق :

ـ مقابل ماذا يا (نور) ؟! إننا معزولون هنا تقريبًا .. لا اتصالات أو محادثات .. لقد منعونا حتى من حمل هواتفنا الخاصة ، وأى جهاز اتصال آخر ، داخلى أو خارجى ، أو حتى محدود الموجة ، ثم إننا لا نستطيع مغادرة هذه القاعة ، إلا بناء على استدعاء رسمى ، وبصحبة حارس .. هل تعتقد أنه من الممكن أن تمتد جسور الثقة ، بين السجين وسجّانه ؟!

كان يرغب فى تبرير الأمر وتخفيفه ، إلا أن طبيعته المنطقية جعلته يجيب فى حزم :

ـ كلاّ .

ثم استدرك فى سرعة :

ـ ولكن من واجبنا أن نقوم بالمهمة .

تنهّدت (نشوى) ، قائلة :

ـ لو أنه لا يوجد سبيل آخر .

ثم استدارت إلى جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، متابعة :

ـ وعلى أية حال ، يمكننى القيام بفرضية جدلية ، لاختبار وسيلتهم هذه .

ولم يعترض (نور) ..

أو يعلّق ..

ففى أعماقه ، كانت تلك المهمة ترتبط بموجة قوية من الخوف والقلق ..

موجة بلا حدود ..

* * *

مطّ الحارس الضخم شفتيه فى حنق ، عندما ارتفعت دقات (أكرم) العنيفة مرة أخرى ، على باب زنزانته ، فاتجه نحوه فى حدة ، قائلاً :

ـ ماذا تريد هذه المرة ؟!

أجابه (أكرم) فى هدوء عجيب :

ـ ما زلت أصرّ على الخروج من هنا .

قال الحارس فى خشونة :

ـ لو واصلت إصرارك هذا ، ستكون العواقب وخيمة .

هزّ (أكرم) رأسه بنفس الهدوء ، قائلاً :

ـ خطأ يا هذا .. العواقب الوخيمة ستحدث ، لو أنكم أصررتم على بقائى هنا ؛ فالشىء الذى ينبغى أن تدركه ، هو أننى أحد رجال المخابرات العلمية .

قال الحارس بنفس الخشونة ، وهو يهم بإغلاق الفتحة الصغيرة :

ـ هذا لا يعنينى .

اعترض (أكرم) طريق الفتحة الصغيرة بأصابعه القوية ، وهو يقول :

ـ قد تتصوّر هذا ، ولكن الواقع أن الأمر يعنيك كثيراً ؛ لأننا ، بحكم عملنا ، نعرف الكثير من المعلومات والأسرار ، التى لا يمكن السماح بوقوعها فى يد أى مخلوق ، فى الخارج أو الداخل .

جذبت كلماته انتباه الحارس الضخم ، فتساءل فى حذر :

- وماذا فى هذا ؟!

رفع (أكرم) قبضته المضمومة ، وهو يجيب :

- التعليمات لدينا هو ألا نسمح لأى مخلوق بانتزاع المعلومات والأسرار منا ، حتى ولو كان الثمن هو حياتنا ، لذا فإما أن يطلق سراحنا ، أو ..

هتف الحارس فى توتر :

- أو ماذا ؟!

لوّح (أكرم) بقبضته ، مجيبًا :

- أو نتناول هذا القرص السام .. تكفى ضغطة واحدة بأسناننا عليه ، حتى ينتشر السم فى الجسد ، ويلقى المرء مصرعه ، قبل مضى دقيقة واحدة .

انعقد حاجبا الحارس ، وهو يحدّق فى قبضة (أكرم) ، قبل أن يهز رأسه فى قوة ، قائلاً :

- لست أصدّق هذا .

قلب (أكرم) شفتيه ، قائلاً :

- هذا ما توقعته للأسف .

ثم ألقى قرصًا صغيرًا فى فمه ، مستطردًا :

- إنك لم تترك لى الخيار إذن .

نطقها ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وانحنى يمسك معدته ، ثم هوى أرضًا ، وهو يطلق آهة ألم مكتومة ..

وارتبك الحارس بشدة ..

ماذا يفعل ؟!

هل يتركه ليموت ؟!

أم يبلغ الوزير ؟!

وهل سيجد الوقت ليفعل ؟!

كان أخشى ما يخشاه أن يلقى السجين مصرعه ..

ويلقى هو جزاء هذا ..

ولكن الوقت يمضى بسرعة مخيفة ..

وآهات (أكرم) تخفت ..



نطقها ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وانحنى يمسك معدته ، ثم هوى أرضًا ، وهو يطلق آهة ألم مكتومة ..

وتخفت ..

وتخفت ..

ولم يعد هناك مجال للتردُّد ..

لذا ، فقد أسرع الحارس الضخم يفتح باب الزنزانة ، واندفع نحو (أكرم) ، في محاولة لإسعافه ، و ..

وفجأة ، استعاد (أكرم) كل نشاطه وحيويته ، وهو يركل الحارس الضخم في معدته ، ركلة كالقنبلة ، قائلاً :

- هل تعلم أن (نور) كان على حق ..

وفي نفس اللحظة ، التي انثنى فيها الحارس ، من ألم الركلة القوية ، وثب (أكرم) واقفًا على قدميه ، وكال له لكمتين ساحقتين متعاقبتين ، في أنفه وفكه ، مستطردًا :

- الهدوء يربح أكثر .

وبوثبة مرنة ، دار حول نفسه ، وركل الحارس في أنفه مباشرة ، وهو يضيف في سخرية :

- والعقل ينتصر دائمًا على القوة .

دفعت الركلة الأخيرة الحارس إلى الخلف فى عنف ، فارتطم بالجدار فى قوة ، ثم جحظت عيناه ، وهوى على وجهه أرضًا ..

وبسرعة ، ودون أن يضيع لحظة واحدة ، انحنى (أكرم) يختطف مفاتيح الزنزانة ، وسلاح الحارس ، وهو يقول :

- هيا .. استمتع بإقامتك هنا ، وسأكمل أنا مهمتى .

تحرك فى خفة ، فأغلق باب الزنزانة الضخم ، ثم راح يتحرك فى الممر المواجه له فى حذر ، ممسكًا سلاحه فى تحفز ..

كان من الواضح أنها منطقة قديمة ، لم تمتد إليها يد التكنولوجيا الحديثة بعد ، فهى عبارة عن ممر طويل ، مضاء بمصباح واحد ، وبه عدد من الزنازين الفارغة ، و ..

وفجأة ، لمح رجلاً يجلس داخل أقرب زنزانة إلى باب الخروج ..

رجل وقور أشيب ، تبدو ملامحه أقرب إلى رجال العلم ، منه إلى العسكريين ، الذين يزخر بهم المكان ..

وفى نفس اللحظة لمحه الرجل ، ولمح السلاح فى يده ، فهب من مجلسه مذعورًا ، وتراجع حتى التصق بالجدار ، وهو يهتف :

- ما .. ماذا ستفعلون بى ؟! ألم يكفكم تلفيق التهم الظالمة ، والاعتقال بهذا الأسلوب الـ ..

قاطعه (أكرم) فى صرامة :

- اهدأ يا رجل .. لست هنا من أجلك .. لقد كنت معتقلاً مثلك .

اتسعت عينا الرجل ، وهو يقول :

- معتقل ؟!

ثم التقى حاجباه ، وهو يتطلع إلى (أكرم) فى اهتمام ، قبل أن يهتف :

- رباه ! إننى أعرفك يا رجل .

قال (أكرم) بنفس الصرامة :

- لست أعتقد أننا قد التقينا من قبل .

لوّح الرجل بسبابته ، هاتفًا :

- ولكننى قرأت ملفك كله ، عندما كنت أراجع كل المعلومات الخاصة بفريق المقدّم (نور) .. أنت (أكرم) .. أليس كذلك ؟!

حدّجه (أكرم) بنظرة حذرة ، وهو يسأله :

- من أنت يا رجل ؟!

هتف الرجل :

- أنا الدكتور (كريم محمود) .. المستشار العلمى لوزير الدفاع .

قال (أكرم) فى دهشة :

- المستشار العلمى؟! فيم وجودك هنا إذن يا رجل ؟!

أجابه فى مرارة :

- الوزير .. الوزير لم يعد كما عرفته .. إنه يتصرّف بجنون مخيف ..

لقد اعتقلنى بتهمة محاولة اغتياله .. تهمة ظالمة ملفقة ، وطاقم حراسته سيشهد بهذا زورًا ، و ..

ثم اتسعت عيناه بغتة ، وهتف فى ارتياع :

- ولكن دعنا لا نضيع الوقت .. رفاقك فى خطر .. المقدّم (نور) ، وزوجته وابنته يواجهون الخطر .. كل الخطر .

انعقد حاجبا (أكرم) ، حتى كادا ينعقدان ، وهو يهتف :

- الخطر ؟! ماذا سيصيب الرفاق يا رجل ؟! ماذا سيصيبهم ؟!

هزّ الدكتور (كريم) رأسه ، فى توتر بالغ ، وهو يجيب :

- الوزير سيرسلهم فى الفجر إلى المنطقة (ص) ، حيث سحقت العاصفة الغامضة من سبقهم ، وسيجرون كل أبحاثهم من داخل المدرّعة (صلب) ، وهم يتصوّرون أنها آمنة تمامًا ، وقادرة على مقاومة العاصفة ، ولكن كل دراساتنا أكّدت أنها لن تصمد فى مواجهتها ، أكثر من دقائق عشر .

سأله (أكرم) فى توتر بالغ :

- وبعدها ؟!

عضَّ الدكتور (كريم) شفتيه ، مجيبًا فى مرارة وأسى :

- وبعدها يلحقون بمن سبقوهم .

اتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما ، وهوى قلبه بين قدميه فى عنف ..

الرفاق يواجهون الخطر ..

كل الخطر ..

ومن المستحيل أن يقف مكتوف اليدين ..

مهما كان الثمن ..

وبكل توتره وغضبه ، هتف :

- قل لى : كيف يمكن إنقاذهم يا رجل ؟! أخبرنى .

ألقى الدكتور (كريم) نظرة على ساعته ، وارتجف صوته بشدة ، وهو يقول فى توتر :

- إنها الخامسة صباحًا .. يا للخسارة ! قضى الأمر .. لن يمكنك إنقاذهم يا ولدى .. لن يمكنك إنقاذهم قط .

ومرة أخرى ، هوى قلب (أكرم) بين قدميه .. وبمنتهى العنف ..

* * *

لم تشعر (سلوى) بالارتياح قط ، منذ وقعت عيناها على المدرَّعة (صلب) لأوَّل مرة ..

كانت مركبة ضخمة ، بلا أية نوافذ ، يعلوها طبق إرسال رقمى قوى ، وتسير على جنزير من قطع الصلب القوى ..

وفى توتر ، غمغمت :

- يخيل إلىَّ أننى سأختنق داخل هذا الشىء .

كان صوتها خافتًا للغاية ، وعلى الرغم من هذا ، فقد أجابها الوزير :

- إنها مكيفة الهواء .

رفعت عينيها إليه بدهشة ، فابتسم ابتسامته الغامضة ، مضيفًا :

- وبها كل وسائل الرفاهية العسكرية .

سأله (نور) :

- ما المقصود بالرفاهية العسكرية ؟!

هزّ الوزير كتفيه ، قائلاً :

- مقاعد وثيرة ، ومياه باردة ، وتكييف هواء .

سألته (نشوى) :

- وهل ستكفى كل الأجهزة ؟!

أجاب فى اقتضاب :

- بالتأكيد .

ثم أشار إلى حوامة عسكرية كبيرة ، فأسرع الجنود يمدون منها سلاسل فولاذية ضخمة ، أحاطوا بها المدرعة (صلب) ، فتساءل (نور) فى قلق :

- هل يمكن بالفعل نقلها بهذا الأسلوب ؟!

أشار الوزير إلى الحوامة الكبيرة ، مجيبًا :

- تلك الحوامة يمكنها رفع مائة طن ، وهى تكفى لحمل المدرعة (صلب) وحمل الفريق والمعدات ، وطاقم الحراسة أيضًا .

هتفت (سلوى) مستنكرة :

- طاقم حراسة ؟! هل سيصحبنا طاقم حراسة ؟!

أجاب الوزير فى حزم :

- بالتأكيد .

قال (نور) فى قلق :

- ولكن هذا يعرّضهم لـ ..

قاطعه الوزير فى صرامة :

- هذا أمر غير قابل للنقاش .

انعقد حاجبا (نور) فى توتر ، وتبادل نظرة عصبية ، مع زوجته وابنته ، فى حين تابع الوزير عمل جنوده ، قبل أن يقول :

- أهم ما فى الأمر هو أن توصلوا جهاز (م م - ١) بطبق الإرسال مباشرة .. نريد أن نتابع النتائج لحظة فلحظة .

غمغمت (سلوى) :

- بالتأكيد .

كان الرجال قد انتهوا من ربط المدرَّعة (صلب) بالهليوكوبتر العسكرية الضخمة ، فأشار الوزير بيده ، قائلاً :

- ستهبطون فى موقع ذلك الجسم الكروى مباشرة ، مع شروق الشمس ؛ لأن هذا أنسب وقت لعمل المسبار الموجى (م م - ١) ، كما أكَّد العلماء ، وعليكم بدء العمل ، فور إعداد الأجهزة .

سأله (نور) :

- وماذا سيفعل طاقم الحراسة ؟!

ابتسم الوزير نفس الابتسامة الغامضة ، وهو يجيب :

- سيقوم بحراستكم بالطبع .

قالت (نشوى) فى سرعة :

- لحمايتنا ، أم لمنعنا من الفرار ؟!

انعقد حاجبا الوزير فى غضب ، فأسرعت (سلوى) تقول :

- وهل ستكفى المدرعة كل هذا العدد ؟!

أجابها فى صرامة :

- سيبقون خارجها .

اتسعت عيونهم فى دهشة ، وهتف (نور) معترضًا :

- وماذا إذا ما هبت العاصفة ؟!

قال الوزير فى صرامة أكثر :

- سيحتمون بالمدرَّعة .

قال (نور) فى توتر :

- لن يكفى هذا ، فالعاصفة ستخفض نسبة الأكسجين فى الهواء ، والرمال ستملأ صدورهم ، وتحرق أنفاسهم ، و ...

قاطعه الوزير صارمًا :

- هذا هو الفارق بين رجالى ورجالكم ، يا أفراد المخابرات العلمية .. رجالى لا يبالون بهذه السخافات ، وسيلقون أنفسهم فى قلب الجحيم ، بإشارة واحدة منى .

غمغمت (سلوى) :

ـ هذا لو أنهم يعلمون أنه جحيم .

حملت عبارتها رنة ساخرة ، جعلت حاجباه ينعقدان فى غضب أكثر ، وهو يلتفت إليها صارماً ، ويحدجها بنظرة كاللهب ، قائلاً :

ـ إنهم يعلمون .

كان يجب أن تتوقف عند هذا الحد ، إلا أنها وجدت نفسها تقول :

ـ حقًا ؟!

خُيِّل إليهم أن جذوة من اللهب قد اشتعلت فى عينيه ، قبل أن يقول :

ـ نعم .. حقًا يا زوجة المقدّم (نور) .

ثم أشاح بوجهه ، وأشار إلى حوامة ثانية ، مستطردًا فى صرامة :

ـ هذه ستحملكم مع طاقم الحراسة ، إلى المنطقة (ص) .. هيا .. اذهبوا إليها .

تبادل الثلاثة نظرة صامتة ، ثم أدى (نور) التحية العسكرية ، قائلاً :

ـ كما تأمر يا سيادة الوزير .

واتجهوا نحو الحوامة ، التى احتشدت فيها معداتهم ، و (سلوى) تغمغم :

ـ أراهن على أن رجاله لا يعلمون ما ينتظرهم .

غمغم (نور) فى حزم :

ـ اطمئنى .. سأحرص على أن يعلموا .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، أشار الوزير إلى رئيس طاقم الحراسة المصاحب للفريق ، فأسرع الرجل إليه ، وأدى التحية العسكرية فى احترام ، قائلاً فى قوة :

ـ أوامرك يا سيادة الوزير .

أشار إليه الوزير بخفض يده ، قبل أن يميل نحوه ، متسائلاً فى صرامة :

ـ هل تعلم من هؤلاء ؟!

أجابه الرجل في سرعة :

ـ الفريق العلمي يا سيادة الوزير .

قال الوزير :

ـ بالضبط .. إنهم فريق علمي ، يعمل لحسابنا بصفة مؤقتة ، ولا يمكننا أن نمنحهم ثقتنا كاملة ، ولهذا كان على رجالك أن يصحبوهم إلى موقع البحث ، هل تفهم ؟!

قال الرجل في حزم :

ـ أفهم يا سيادة الوزير .

وضع الوزير يده على كتف الرجل ، وهمس في أذنه :

ـ احترس أنت ورجالك .. ربما يحاولون خداعكم ، وإيهامكم بأمور غامضة غير مفهومة ، حتى يكسبوكم إلى صفهم .

قال الرجل في حزم :

ـ لن نمنحهم الفرصة لهذا .

ابتسم الوزير ، قائلاً :

ـ بالضبط .. لا تسمحوا لهم بالتحدث إليكم .. امنع رجالك من الاستماع إليهم ، مهما كانت الأسباب .. هل تفهم ؟!

هتف الرجل :

ـ أفهم يا سيادة الوزير .

قال الوزير بلهجة صارمة :

ـ أما لو لاحت منهم أية بادرة أو محاولة للفرار ، فأطلقوا النار عليهم دون إنذار .. مفهوم ؟

تراجع الرجل خطوة ، وأدى التحية في قوة ، قائلاً :

ـ مفهوم يا سيادة الوزير .

أشار الوزير بيده ، وهو يقول :

ـ انصراف .

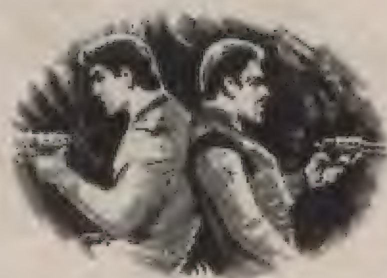
أسرع الرجل عائدًا إلى جنوده ، وانتحى بهم جانبًا ؛ لينقل إليهم أوامر الوزير ، قبل أن يهرعوا جميعًا إلى الحوامة ، التي ارتفعت مع زميلتها ، التي تحمل

المدرّعة (صلب) ، وانطلقت الحوامتان نحو الغرب ..

نحو الخطر ..

كل الخطر .

* * *



٨ ـ الخدعة

لم تكن الشمس قد أشرقت بعد ، على مبنى المخابرات العلمية ، عندما توقّفت سيارة (مشيرة) أمام البوّابة الرئيسية ، وهبطت هي منها ، قائلة :

ـ لدى موعد مع الدكتور (جلال) .. مدير مركز الأبحاث .. أنا (مشيرة محفوظ) ، رئيس تحرير جريدة (أنباء الفيديو) المرئية .

أشار إليها رئيس فريق الحراسة ، قائلاً فى احترام :

ـ مرحبًا بك يا سيّدتى .. الدكتور (جلال) فى انتظارك .

ثم تنحنح ، مضيفًا :

ـ ولكننى مضطر لإخضاعك لنظم الأمن ، طبقًا للقوانين .

غمغمت فى عصبية :

ـ لا بأس .. لا بأس ..

شعرت بتوتر بالغ ، وهو يقودها إلى حجرة الفحص ، حيث قام شعاع من الليزر الدقيق بمراجعة بصمات أصابعها ، وتوزيع مسامها العرقية ، وبصمة قزحيتها ، قبل أن يصحبها أحد رجال الحراسة ، عبر ممر طويل ، إلى مبنى مركز الأبحاث العلمية ، حيث استقبلها الدكتور (جلال) فى مكتبه ، وصافحها فى احترام ، قائلاً :

- مرحبًا يا سيِّدة (مشيرة) .. لقد حضرت إلى هنا فور اتصالك ؛ فلقد شعرت من صوتك ولهجتك ، أن الأمر خطير وعاجل ، على الرغم من أننى علمت ، عبر شاشتك بالتحديد ، من خلال الاتصال المباشر لسيادة الرئيس ، أنه قد صدر عفو شامل عن (نور) وزوجك وباقى الفريق .

قالت فى توتر :

- الشىء الذى لا تعلمه يا دكتور (جلال) ، هو أن الفريق يعمل لحساب وزارة الدفاع ، منذ صباح أمس .

اتسعت عيناه بدهشة بالغة ، وهو يهتف :

- وزارة الدفاع .

ثم مال نحوها ، مستطردًا بلهجة مستنكرة :

- ولكن هذا مستحيل ! إنه وزير الدفاع شخصيًا ، الذى أصرَّ على عزلهم ومحاكمتهم .

أشارت بسبَّابتها ، قائلة :

- بالضبط .

ثم لوَّحت بيدها كلها ، مضيفة فى عصبية :

- وهو نفسه الذى خدعهم ، وأوهمهم بأنه قد صدر عفو شامل عنهم ، بشرط أن يعملوا لحساب وزارة الدفاع ، فى مهمة أجهل كل شىء عنها ، ولكنها حتمًا عاجلة وخطيرة ، حتى إنه يمنع أى اتصال بهم ، بعد أن اعتقل زوجى (أكرم) ، لمجرَّد أنه طلب رؤيتهم .

التقى حاجبا الدكتور (جلال) فى شدة ، وهو يحدِّق فى وجهها ، ويتراجع فى مقعده ببطء ، قبل أن يقول :

ـ سيِّدة (مشيرة) .. هل تدركين مدى خطورة ما تقولين ؟!

أجابته فى حدة :

ـ ما أدركه هو أن كل حرف نطقت به حقيقى تمامًا ، ومن مصدر موثوق به ، إلى درجة لا يمكن أن يتطرَّق إليها الشك .. وما أدركه أكثر هو أن كل لحظة تمضى ، قد تعنى الكثير للكل .. (نور) و(أكرم) ، و(سلوى) ، و (نشوى) .. بل وربما للمخابرات العلمية كلها .

ازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يتطلَّع إليها فى اهتمام ، ثم اعتدل فجأة ، وضغط زر هاتفه المرئى ، قائلاً فى حزم :

ـ فى هذه الحالة ، ينبغى أن نتحرَّك بأقصى سرعة .

انتفض قلبها فى انفعال ، وهى تقول :

ـ بالتأكيد .

وعلى شاشة هاتفه ، ظهرت صورة القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، فقال فى انفعال شديد :

ـ سيادة القائد الأعلى .. معذرةً للاتصال فى هذا الوقت ، ولكن الأمر عاجل بالفعل .. عاجل وخطير ، حتى إنك لن تصدِّق ما سأخبرك به ..

وانتفض قلب (مشيرة) مرة أخرى فى عنف ..

ومن كل ذرة فى كيانها ، انطلق سؤال قوى ..

تُرى هل يمكن أن يتحرَّك أحد ؛ لإنقاذ زوجها ورفاقه ؟!

وفى الوقت المناسب ؟!

هل ؟!

* * *

فجأة ، انقضَّ (أكرم) على جندى الحراسة ، الذى يقف عند مدخل قبو الزنازين ..

وعلى الرغم من أن ذلك الحارس كان قويًّا ضخم الجثة ، ومدرَّبًا على مواجهة أعتى المخاطر ، إلا أن المفاجأة قد أخذته تمامًا ، خاصة وأنه لم يكن يتوقَّع قط أن تأتيه الهجمة من الداخل ، بعد أن أمروه بمنع أى مخلوق من دخول المكان ، إلا بأمر الوزير شخصيًّا ..

وفى عنف ، سقط (أكرم) وغريمه أرضًا ، وتدحرجا عبر الممر ، الممتد أمام مدخل قبو الزنازين ..

ثم استعاد الحارس المدرَّب توازنه أولاً ..

وهبَّ واقفًا على قدميه ..

ورفع مدفعه الليزرى ..

وانقضَّ عليه (أكرم) مرة ثانية ..

وفى هذه المرة ، هوى الحارس على فكه بكعب مدفعه ..

وبمنتهى القوة ..

ومع عنف الضربة وشدتها ، طار جسد (أكرم) ، ليرتطم بالجدار ..

وأدار الحارس فوهة مدفعه نحوه ، وهو يهتف :

ـ أنت جنيت على نفسك .

وتعلَّقت عينا (أكرم) بالفوهة القاتلة ..

وبسبَّابة الحارس ..

وفى اللحظة المناسبة تمامًا ، وثب جانبًا ..

وانطلقت أشعة الليزر ، لترتطم بالجدار ، بصوت أشبه بفحيح ألف أفعى ..

وفى نفس اللحظة ، وثب (أكرم) نحوه ..

وكال له لكمة كالقنبلة ..

ثم انحنى فى سرعة ، ولكمه لكمة كالمطرقة فى معدته ..

وثالثة فى أنفه مباشرة ..

ورابعة على مؤخرة عنقه ..

وانطلق من الحارس صوت عجيب ، وهو يسقط على وجهه أرضًا ، ولكن (أكرم) هتف به ، وهو يدفع مدفعه الليزرى بقدمه ، ويحيط عنقه بساعد كالفولاذ :

ـ لا .. لا تفقد الوعى يا رجل .. ما زال هناك ما أرغب فى سماعه منك .

زمجر الحارس فى غضب وضعف ، وهو يهتف :

ـ لن تحصل منى على حرف واحد .

ضغط (أكرم) عنقه ، في قوة وقسوة ، قائلاً :

- هل تراهن ؟!

ارتفعت من حلق الرجل حشرجة مؤلمة ، وهو يضرب الهواء بذراعيه ، ويديرهما حول ظهره ، محاولاً الإمساك بخصمه ، ولكن (أكرم) تراجع فى حرص مدروس ، وهو يسأله :

- أين المقدّم (نور) وزوجته وابنته ؟! أين هم ؟!

انطلقت من الحارس حشرجة أخرى ، وجحظت عيناه ، وهو يهتف :

- قلت : لن تحصل منى على حرف واحد .

صاح به (أكرم) فى غضب :

- أخبرنى أو ..

صرخ الرجل بصوت مختنق :

- لن تعرف أبدًا .

برز الدكتور (كريم) فى تلك اللحظة ، وهو يقول ، بصوته الوقور الرصين :

- لن يخبرك .

رفع (أكرم) عينيه إليه فى غضب ، ورآه ينحنى فى هدوء ، ويلتقط المدفع الليزرى ، متابعًا بنفس الوقار والرصانة :

- الحراس الخاصون بمبنى الوزارة ، يتم اختيارهم من أفضل العناصر ، وأكثرها قوة وجلدًا وتدريبًا ، وكلهم من طراز خاص ، حتى إنك لن تنجح فى إخافتهم ، مهما فعلت ..

ثم رفع فوهة المدفع ، وصوّبها نحو رأس الحارس ، مستطردًا :

- لذا فأفضل ما تفعله هو أن ..

وصمت لحظة ، قبل أن يكتسب صوته صرامة مباغتة ، وهو يضيف :

- تتخلّص منه نهائيًا .

جحظت عينا الحارس ، وهو يحدّق فى وجه العالم ، الذى بدا صارمًا قاسيًا شرسًا ، وسبّابته تهمّ بضغط زناد المدفع ، و ..



ومع هتافه ، هوى على مؤخرة عنق الحارس بلكمة قوية ، جحظت لها عينا هذا الأخير ، قبل أن يهوى فاقد الوعي ..

« لقد رحلوا ... » ..

هتف بها الحارس فى هلع ، وهو يرفع يده ليحمى وجهه ، فارتفع حاجبا (أكرم) لحظة فى دهشة ، ثم انخفضا فى سرعة ، وهو يسأله فى صرامة :

- إلى أين ؟!

أجابه بصوت مختنق :

- إلى المنطقة (ص) .. الحوامات حملتهم مع المدرَّعة الجديدة إليها ، منذ عشر دقائق تقريبًا .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يهتف :

- أيها الأوغاد !

ومع هتافه ، هوى على مؤخرة عنق الحارس بلكمة قوية ، جحظت لها عينا هذا الأخير ، قبل أن يهوى فاقد الوعى ، فنهض (أكرم) ، قائلاً :

- تصوَّرت لحظة أنك ستطلق النار عليه بالفعل .

ألقى الدكتور (كريم) المدفع الليزرى من يده فى حدة ، وهو يطلق زفرة ملتهبة ، قائلاً :

- إنها أصعب لحظات حياتى ، ولكننى كنت أعلم أن هذا هو الأسلوب الوحيد ، الذى سيدفعه للكلام .. أن يدرك أننا لا نهزل أو نهدد فحسب ، بشأن قتله .

ربت (أكرم) على كتفه ، قائلاً :

- لقد لعبت دورك بمنتهى البراعة .

زفر الرجل مرة أخرى ، وهو يهز رأسه فى قوة ، فانعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يقول فى توتر :

- ولكن دعنا من هذا الآن ، وأخبرنى : ألا توجد وسيلة للحاق بالرفاق ، قبل أن يواجهوا الخطر ؟!

ألقى الرجل نظرة على ساعته ، قائلاً :

- لقد رحلوا منذ عشر دقائق تقريبًا ، ومع حوامات نفاثة قوية كهذه ، تستغرق الرحلة ثلاث عشرة دقيقة ، وهذا يعنى أنهم سيهبطون فى المنطقة (ص) ، خلال ثلاث دقائق على الأكثر .

غمغم (أكرم) فى عصبية :

- رباه !

تابع الدكتور (كريم) فى انفعال :

- إعداد الأجهزة للعمل يحتاج إلى عشر دقائق أخرى ، ولو أن نظرية المقدم (نور) صحيحة ، وأن موجات الأشعة ، التى يطلقها (م م – ١) ، هى السبب المباشر فيما يحدث ، فهذا يعنى أن أمامهم خمس عشرة دقيقة من الآن ، قبل أن ..

وامتقع وجهه تمامًا ، وغارت عيناه ، وهو يكمل بصوت شاحب :

- قبل أن تسحقهم العاصفة سحقًا .

اتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما فى ارتياع ، وهو يقول :

- رباه ! هذا يعنى أنه من المحتم أن نعثر على وسيلة لبلوغ المنطقة (ص) ، خلال دقيقتين فحسب .

ثم أدار عينيه إلى الدكتور (كريم) فى حزم شديد ، مضيفًا :

- ولابد أن تكون هذه الوسيلة هى حوامة نفاثة أخرى .

أمسك الرجل ذراعه فى قوة ، وهتف فى انفعال :

- حوامة الوزير .

تألقت عينا (أكرم) ، وهو يقول :

- أرشدنى إليها .

تراجع العالم بوجه شاحب ، وهو يقول :

- إنها .. إنها فى الفناء الخلفى ، ولكن .. ولكن ..

هتف به (أكرم) :

- ولكن ماذا ؟!

أجاب فى توتر بالغ :

- ولكنها محاطة بحراسة قوية ، ثم إننا لن نستطيع قيادتها .

قال (أكرم) فى حزم :

- لا تقلق نفسك من هذه الناحية .. أرشدنى إليها فحسب .

تطلع إليه العالم بضع لحظات فى تردد ، قبل أن يحسم أمره ، قائلاً :

- هيا بنا .

ثم توقف ، ليسأله ، مستعيدًا قلقه :

- ولكن كيف ستتجاوز الحراسة ؟!

هزَّ (أكرم) رأسه ، قائلاً :

- ومن قال إننى سأفعل ؟!

بدت الدهشة على وجه العالم ، فتابع (أكرم) ، وعيناه تتألقان على نحو عجيب :

- أنت ستفعل .

واتسعت عينا مستشار الوزير فى ارتياع ، على الرغم من أنه لم يفهم ما يعنيه (أكرم) ..

لم يفهم أبدًا ..

* * *

بدت ملامح القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية جامدة صارمة ، وهو يواجه (مشيرة) فى مكتبه ، بعد أن أعادت القصة كلها على مسامعه ، قائلاً :

- هل تدركين ما الذى يعنيه ما تقولين يا سيدة (مشيرة) ؟!

أجابته فى عصبية :

ـ تمام الإدراك .. ومستعدة لتحمل كافة النتائج والمسئوليات .

ثم بدت لهجتها أشبه بالتوسل ، وهى تضيف :

ـ المهم أن تسرعوا .

رمقها القائد الأعلى بنظرة صارمة ، وهو يقول :

ـ كلامك هذا يعنى أن السيد وزير الدفاع ، قد تجاوز كل صلاحياته الرسمية ، والسياسية ، والعسكرية ، وأنه قد جند فريقًا للمخابرات العلمية ، بوساطة التمويه والخداع ، للقيام بمهمة تجهل حتى القيادة السياسية كل شىء عنها .

هتفت :

ـ بالضبط .. المهم أن تسرعوا باتخاذ أية إجراءات ، قبل أن يضيع الوقت ، ونفقدهم جميعًا .

قال الدكتور (جلال) :

ـ اهدئى يا سيدة (مشيرة) .. سيادة وزير الدفاع لن يسعى لإيذائهم حتمًا .

هتفت محنقة هذه المرة :

ـ حقًا ؟! دعنى أذكرك إذن أن وزير الدفاع هذا هو نفس الشخص ، الذى سعى لعزلهم من وظائفهم ، وهدد بالاستقالة ، لو لم تتم محاكمتهم ، وهو نفس الشخص ، الذى جعل المحاكمة عسكرية ، حتى تتم تحت قيادته شخصيًا ، وهو يعلم أن عقوبة التهمة الموجهة إليهم هى الإعدام .

تبادل الدكتور (جلال) نظرة متوترة ، مع القائد الأعلى ، ثم قال الأخير فى حزم :

ـ اطمئنى يا سيدة (مشيرة) .. إننا نقلق بشأن المقدم (نور) وفريقه ، بأكثر مما تفعلين ، ولن نتخلى عنهم قط ، أو ..

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع رنين هاتفه الخاص ، فالتقط سماعته فى سرعة ، دون أن يضغط زر الاتصال المرئى ، وقال :

ـ ماذا لديك ؟!

كان من الواضح أنه يعرف صاحب الاتصال ويتوقعه ، لذا فقد استمع إليه فى اهتمام شديد ، شاركه إياه الدكتور (جلال) و (مشيرة) ، وكلاهما يتطلع إليه فى قلق ، حتى غمغم :

ـ فليكن .

وعندما أنهى الاتصال ، لم تكن ملامحه توحى قط بالتفاؤل ، لذا فقد سألته (مشيرة) ، وقلبها يخفق فى عنف :

ـ ما .. ماذا حدث ؟

انطلقت من أعمق أعماق القائد الأعلى زفرة بركانية ، وهو يقول :

ـ يبدو أن الأمور قد أفلتت من بين أيدينا .

شحب وجهها بشدة ، واتسعت عيناها فى ارتياع ، فتابع :

ـ المهمة بدأت بالفعل .

وانطلقت من حلقها صرخة ..

صرخة حملت كل ارتياعها ..

كله ..

* * *

تحركت كاميرات المراقبة مع عيون رجال الحراسة ، نحو الدكتور (كريم) ، فى نفس اللحظة ، التى خطا فيها إلى مهبط الحوامة ، الخاصة بوزير الدفاع ، وارتفعت فوهات المدافع الليزرية فى تحفز ، فتراجع العالم بدرجة حادة ، وهو يهتف :

ـ رويدكم .. إنه أنا .

نطقها ، وهو يتمنى فى أعماقه ألا تكون أخبار إلقاء القبض عليه قد بلغتهم ..

ومن حسن حظه أن كان هذا صحيحًا ؛ فلقد انخفضت فوهات مدافعهم ، وأحدهم يهتف بدهشة :

ـ دكتور (كريم) ؟! ماذا تفعل هنا ؟! معذرة يا سيدى .. أعنى فى هذه الساعة ؟!

تقدم الرجل نحوهم بساقين مرتجفتين ، وهو يقول :

ـ إنه كشف علمى دورى ، على نظم الأمن الإليكترونية ، فى حوامة الوزير الخاصة .

قال الرجل فى دهشة ، امتزجت بلمحة من الشك :

- فى هذه الساعة ؟!

هزّ الدكتور (كريم) كتفيه ، قائلاً ، وهو يبذل قصارى جهده وأعصابه ، ليرسم على شفتيه ابتسامة :

- العمل لا يعرف المواعيد يا رجل .

ثم استدار خلفه ، هاتفًا :

- أحضر المعدات .

برز (أكرم) من خلف قائم كبير ، وهو يحمل حقيبة كمبيوتر صغيرة ، اتجه بها بخطوات ثابتة نحو حوّامة الوزير ، وتابعه الحراس ببصرهم فى عصبية ، قبل أن يعترض قائدهم طريقه ، قائلاً فى صرامة :

- معذرة .. لا بد من استئذان الوزير أولاً .

خفق قلب الدكتور (كريم) فى عنف ، وهو يتظاهر بالدهشة ، هاتفًا :

- فى هذه الساعة ؟!

أجابه قائد الحرس فى صرامة :

- الأوامر هى الأوامر .

صاح به العالم فى صرامة مصطنعة :

- هل جننت يا رجل ؟! سيادة الوزير لم يحظ بدقيقة واحدة من النوم ، منذ صباح أمس ، والمفترض أننا نراجع كل شىء فى حوامته الخاصة ، حتى ينطلق بها فور استيقاظه ، فهل سنقلقه الآن ، حتى نسأله عما إذا كان يسمح لمستشاره الخاص ، ورئيس جهازه العلمى العسكرى ، بمراجعة إجراءات الأمن فى حوامته ، وهو الذى لا يخطو خطوة واحدة ، قبل استشارتى ؟!

بدا التردّد على وجه قائد الحرس ، وهو يقول :

- ولكن الأوامر تحتم أن نتلقى إشعارًا مسبقًا ، فى مثل هذه الأمور .

جفّ حلق الدكتور (كريم) ، وهو يلوّح بيده ، قائلاً :

- ليس فى مثل هذه الظروف .. ألا تدرك ما يحدث هذه الأيام .

كرّر قائد الحرس فى صرامة :

ـ الأوامر هى الأوامر .

همّ الدكتور (كريم) بقول شىء ما ، لولا أن قال (أكرم) فى هدوء :

ـ لا ترهق نفسك يا سيّدى .. من الواضح أن الرجل عنيد للغاية ، فى مثل هذه الأمور .

ثم تطلّع إلى قائد الحرس ، متابعًا فى شىء من السخرية :

ـ دعه يجرى اتصاله بسيادة الوزير ، ويوقظه من نومه ، فى مثل هذه الساعة .. على الأقل هو الذى سيتلقّى غضبه كله .

واتسعت ابتسامته الساخرة ، مستطردًا :

ـ هيا يا رجل .. أجر الاتصال .. هيا .

تردّد قائد الحرس بضع لحظات ، ثم لم يلبث أن قال فى توتر :

ـ فليكن .. سأحتاج توقيعًا رسميًا للقيام بهذا .

تنفس الدكتور (كريم) الصعداء ، وهو يقول :

ـ لا بأس .. أحضر أوراقك .

تراجع الرجل لإحضار الأوراق ، فزفر الدكتور (كريم) فى شدة ، جعلت (أكرم) يبتسم ، قائلاً :

ـ مرة أخرى يثبت (نور) أنه على حق .. الهدوء يربح أكثر .

أحضر قائد الحرس الأوراق ، فوقّعها الدكتور (كريم) ، وأعادها للرجل ، وهو يقول لـ (أكرم) فى توتر :

ـ هيا .. دعنا نختبرها أولاً ، قبل أن تجرى أية تعديلات .

هتف قائد الحرس :

ـ تختبرها ؟! هل تعنى أنكما ..

قاطعه (أكرم) فى صرامة :

ـ سنقلع بها فى دورة اختبارية بالطبع .. هل تجهل هذا أيضًا ؟!

ثم هتف الدكتور (كريم) :

ـ ماذا دهاكم ؟! أنا مستشار الوزير، ولست خصمه الأول .

تردد قائد الحرس بضع لحظات أخرى ، ثم تراجع خطوة ، وأدى التحية العسكرية ، قائلاً :

ـ معذرة يا سيدى .

اتخذ (أكرم) مقعد القيادة داخل الحوامة ، وجلس الدكتور (كريم) إلى جواره ، وهو يقول بصوت مرتجف :

ـ لست أصدق أننى قد فعلت هذا .

ضغط (أكرم) أزرار القيادة ، قائلاً في حزم :

ـ كانت هذه هى الوسيلة الوحيدة ، فحتى لو نجحنا فى الاستيلاء على الحوامة بالقوة ، كانوا سيطاردوننا فى شراسة ، ويضيع الوقت كله ، فى محاولة الفرار منهم .

غمغم الدكتور (كريم) ، وهو يتطلع إلى الحراس فى عصبية :

ـ أأنت واثق من قدرتك على قيادتها ؟!

جذب (أكرم) ذراع الحوامة ، قائلاً :

ـ ما رأيك أنت ؟!

ارتفعت الحوامة النفاثة إلى أعلى فى بطء ، ثم ضغط (أكرم) أحد أزرارها ، فانطلقت إلى الأمام بفرقعة مكتومة ، و (أكرم) يهتف :

ـ كم بقى أمامنا من وقت .

ارتجف صوت الدكتور (كريم) ، وهو يقول :

ـ أقل قليلاً من عشر دقائق .

اتسعت عينا (أكرم) فى ارتياع ، وهو يهتف :

ـ رباه !

وضغط ذراع القيادة ، لتضاعف الحوامة سرعتها ، وتنطلق بأقصى سرعة تسمح بها محركاتها النفاثة ..

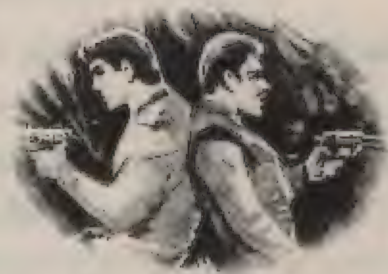
فطبقًا لما أخبره به الدكتور (كريم) ، فالرحلة إلى المنطقة (ص) تحتاج إلى ثلاث عشرة دقيقة كاملة ..

وهذا يعنى أنه يفتقر إلى ما يزيد على ثلاث دقائق ، كاملة ..

ويعنى أيضًا أنه لن ينجح فى بلوغ (نور) و (سلوى) ، قبل أن تنقضّ عليهم العاصفة ..

لن ينجح أبدًا .

* * *



٩ ـ عمالقة الرمال ..

تحركت (سلوى) فى عصبية ، فوق صحراء (مصر) الغربية ، فى محاولة للسيطرة على ذلك التوتر الشديد ، الذى يلازمها كظلها ، منذ هبطت بهم الحوّامتان ، فى المنطقة (ص) ، وتعلّقت عيناها بالرمال ، الممتدّة إلى الأفق ، وقلبها يخفق فى عنف ، وكأنما ترى ذلك العملاق الرملى الرهيب ، وهو ينهض من قلب الصحراء ، وينقضّ عليهم بكل الغضب والمقت والوحشية ..

وعلى بعد خطوات منها ، وقفت (نشوى) صامتة ، تراقب الرجال ، وهم ينقلون جهاز (م م ـ ١) إلى المدرعة (ص) ، ثم خفضت بصرها إلى الرمال فى خوف ، وعقلها يستعيد ذلك المشهد الرهيب ، للعمالقة الذين يبرزون من قلب الصحراء ، وينقضون على الفريق السابق ..

أما (نور) ، فقد اتجه نحو قائد طاقم الحراسة ، وسأله فى اهتمام :

- قل لى يا رجل : ألديكم فكرة عما يمكن أن يحدث هنا .

انعقد حاجبا الرجل فى صرامة ، وأشار إلى رجاله فى حزم ، حتى لا يستمعوا إلى (نور) ، وهو يقول فى خشونة :

- معذرة يا سيادة المقدّم ، ولكن لدى أوامر بعدم التحدّث معك ، أو مع أى فرد فى الفريق العلمى .

تجاهل (نور) هذا القول ، وهو يواصل :

- هناك احتمال أن تهبّ عاصفة عاتية رهيبة ، و..

قاطعه الرجل فى حدة :

- سيادة المقدّم .. إنك تتجاوز الأوامر .

مرة أخرى تجاهله (نور) ، وهو يقول فى صرامة :

- تلك العاصفة سبق لها أن اقتلعت الفريق السابق ، بكل أسلحته ومعداته ، و...

تراجع الرجل فى حركة عنيفة ، ورفع فوهة مدفعه الليزرى فى حدة ، صارخًا :

- كفى يا سيادة المقدّم .. لا تجبرنى على تنفيذ الشق الثانى من الأوامر ، فى حالة إصرارك على مواصلة الحديث .

هتفت (سلوى) فى ارتياع :

- احترس يا (نور) .

تطلّع (نور) إلى الرجل فى أسف ، قائلاً :

- فليكن .

ثم اتجه إلى زوجته وابنته ، مواصلاً :

- لا فائدة .. لقد اتخذ الوزير كل الاحتياطات اللازمة .

غمغمت (نشوى) فى غضب :

- فليذهبوا إلى الجحيم ، ما داموا حمقى إلى هذا الحد .

تنهّد (نور) ، وهو يهزّ رأسه ، قائلاً :


صمت الثلاثة بعد كلمتها ، وراحوا يتطلعون إلى المدرعة (صلب) ، وهى تغرس أذرعها الأربع فى قلب الرمال . .

- إنهم يتصورون أنهم يؤدون واجبهم فحسب .

هزت (سنوى) رأسها بدورها ، مغمغمة :

- يا للمساكين !

صمت الثلاثة بعد كلمتها ، وراحوا يتطلعون إلى المدرعة (صلب) ، وهى تغرس أذرعها الأربع فى قلب الرمال ، ثم غمغمت (نشوى) فى قلق :

- هل تعتقدان أنها ستصمد ؟!

تمتم (نور) :

- دعينا نأمل هذا .

تلفتت (نشوى) حولها ، هامسة :

- بالتأكيد .

وصمتت لحظة ، وهى تستعيد ذلك المشهد المخيف ثانية ، ثم أضافت بصوت مرتجف :

- فليس أمامنا سوى أن نأمل .

مع آخر حروف كلماتها ، اتجه قائد طاقم الحراسة نحوهم ، وأدى التحية العسكرية ، قائلاً بلهجة جافة :

ـ كل شىء معد يا سيادة المقدم .. يمكنكم البدء فورًا .

خفق قلب (نشوى) فى عنف ، وانعقد حاجبا (سلوى) فى توتر ، فى حين شدّ (نور) قامته ، والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول :

ـ لا بأس .. هيا بنا .

جروا أقدامهم جرًا إلى المدرعة (صلب) ، التى بدت أضخم مما ينبغى ، وهم يتسلقون سلمها المعدنى ، ويهبطون داخلها ، واحدًا بعد الآخر ..

كانت فسيحة رحبة ، جيّدة التأثيث من الداخل بالفعل ، وكانت تحوى خمسة مقاعد وثيرة ، إلى جوار المعدات اللازمة ، وجهاز (م م ـ ١) ..

وما إن استقرّ الثلاثة فى أماكنهم ، حتى هبط اثنان من طاقم الحراسة إلى المدرعة ، واتخذا المقعدين الآخرين ، فسألتهما (سلوى) :

ـ هل قرّرتم الانضمام إلينا ؟!

أجابها أحدهما فى صرامة :

ـ الأوامر أن نبقى هنا ، فى حين يتولى رفاقنا الأربعة الآخرون حراسة المدرعة من الخارج .

قال (نور) فى هدوء :

ـ ولماذا لا تنضمون جميعًا إلينا ؟! أعتقد أن المكان يتسع للكل .

ظلّت ملامح الجنديين جامدة صارمة ، على نحو يشفّ عن عدم استعدادهما للحديث والمناقشة ، فتمتمت (نشوى) ، وهى تضغط أزرار الكمبيوتر :

ـ لا بأس .. دعنا لا نشغل أنفسنا بشأنهم .

ضغطت (سلوى) أزرار جهازها بدورها ، وهى تقول فى حزم :

ـ أنت على حق .

ثم استدار إلى جهاز (م م ـ ١) ، وترددت لحظة فى توتر ، فأشار إليها (نور) ، قائلاً فى حزم :

ـ على بركة الله .

وضغطت (سلوى) زر الجهاز ..

وانطلقت موجات الأشعة ..

* * *

« رباه ! ساعدنا على الوصول فى الوقت المناسب .. »

هتف (أكرم) بالعبارة ، وهو يدفع جسده مع عصا القيادة إلى الأمام ، وكأنما يتصوَّر أن هذا سيضيف سرعة جديدة إلى الحوَّامة ، التى تنطلق بأقصى سرعتها بالفعل ..

كان الوقت يمضى بسرعة مخيفة ، دون أن يمكنه تعويض سوى دقيقة واحدة ، من الفارق الزمنى ، بينه وبين (نور) ..

وفى يأس مرير ، غمغم الدكتور (كريم) :

ـ لن نصل فى الوقت المناسب .. لن نصل أبدًا .

صرخ (أكرم) فى حدة :

ـ اصمت .

كان توتره ويأسه يبلغان ضعفى ما يشعر به العالم الكهل ، إلا أنه لم يكن يستطيع احتمال الفشل فى هذا الأمر ..

لا يستطيع احتماله قط ..

وكل ما يتمناه ، فى حياته كلها ، هو أن يبلغ المنطقة (ص) ، قبل أن تهبَّ العاصفة ..

مهما كان الثمن ..

« من القيادة إلى (نسر ـ ١) .. »

ارتفع الصوت الصارم فجأة ، عبر جهاز الاتصال المحدود ، فانتفض جسد الدكتور (كريم) فى عنف ، وهتف فى ارتياع :

ـ رباه ! إنه الوزير ..

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وهو يتجاهل النداء تمامًا ، ولكن الوزير تابع فى غضب شديد :

ـ لقد ارتكبتما خطأ رهيبًا ، باعتدائكما على حوَّامتى الخاصة واختطافها ، وأنا آمركم بالعودة فورًا ، وإلا فستكون العواقب وخيمة .

هتف (أكرم) فى غضب :

ـ إذهب إلى الجحيم .

اتسعت عينا الدكتور (كريم) عن آخرهما ، وهو يهتف فى ارتياع :

- لا تقل هذا للوزير .. لا تقل هذا .

ولكن الوزير هتف فى غضب هادر :

- فليكن يا سيّد (أكرم) .. سنرى من منا سيذهب إلى الجحيم .

ثم ترك جهاز الاتصال ينقل أوامره ، وهو يتابع :

- من القيادة العامة إلى كل المطارات الحربية ، فى الصحراء الغربية ، والواحات الخارجة والداخلة .. (نسر - ١) تم اختطافها ، من قبل تنظيم إرهابى .. لا يمكن السماح لهم بالحصول على أسرارها الأمنية.. اتجهوا جميعًا إلى الهدف .. انسفوا (نسر - ١) .. هذا أمر مباشر .. انسفوها بلا إنذار .

غاص الدكتور (كريم) فى مقعده برعب هائل ، وهو يهتف :

- يا إلهى ! يا إلهى !

أما (أكرم) ، فقد ازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يقول :

- أجهزة الاتصال ! كيف لم يخطر هذا ببالى ؟!

ثم هتف بالدكتور (كريم) :

- قل لى يا رجل : هل تعرف موجة الاتصال بتلك المدرعة (صلب) ؟!

أجابه الدكتور (كريم) ، وهو يرتجف بشدة :

- بالتأكيد ، ولكن ..

قاطعه فى صرامة :

- اضبط أجهزة الاتصال عليها إذن .. هيا .

لم يكن يبالى بالمقاتلات ، التى انطلقت كلها فى إثره ..

أو حتى بما يمكن أن ينتظره ، بعد أن سرق حوّامة الوزير ..

كل ما كان يعنيه هو أن ينقذ (نور) ، و(سلوى) ، و (نشوى) ..

فى الوقت المناسب ..

وبأى ثمن !

أى ثمن !

* * *

خفق قلب (سلوى) فى شدة ، وهى تتطلع إلى شاشة جهاز (م م ـ ١) ، وشاشة جهازها الخاص ، والكمبيوتر الملحق به ، هاتفة :

ـ رباه ! إنه جسم صناعى بالفعل ، وغارق فى قلب الرمال ، منذ أكثر من ثلاثة ملايين عام .. إننى لا أرصد أى منحنى قلبى ..

سألتها (نشوى) متوترة :

ـ كيف ؟! قلت من قبل : إنه شديد الوضوح !

أومأت (سلوى) برأسها إيجابًا ، وهى تقول :

ـ هذا صحيح .. فى الفحص السابق بدا المنحنى واضحًا للغاية ، أما هذه المرة ، فلا وجود له على الإطلاق .

سألها (نور) فى اهتمام :

ـ هل يمكنك رصد أية حركة أخرى ؟!

هزّت رأسها نفيًا ، قائلة :

ـ ليس على السطح .

قالت (نشوى) فى حماس ، وهى تضغط أزرار الكمبيوتر :

ـ وماذا لو عدلنا شدة موجات (م م ـ ١) ؛ لاختراق جسم ذلك الشىء ، حتى يمكننا رصد ما بداخله ؟!

هتفت (سلوى) :

ـ هذا ما كنت سأفعله الآن .

لم يكد هتافها ينطلق ، حتى ارتفع صوت (أكرم) ، عبر جهاز الاتصال ، وهو يهتف :

ـ (نور) .. (سلوى) .. (نشوى) .. توقفوا .. لا تبدءوا ذلك الفحص أبدًا .

تفجّرت الدهشة فى وجوههم ، و (نور) يهتف :

ـ (أكرم) ؟! من أين تتحدّث ؟!

أجابه (أكرم) فى لهفة :

ـ من حوامة وزير الدفاع يا (نور) ، ولكن لا عليك من هذا الآن .. المهم أن تستمعوا إلىّ جيدًا .. لا تبدءوا ذلك الفحص أبدًا .. المدرعة (صلب) لن تصمد أمام العاصفة .. كل النتائج والمعادلات تؤكد هذا .. لا تبدءوا الفحص يا (نور) .

تبادل الثلاثة نظرة مذعورة ، وهتفت (نشوى) :

ـ كنت أعلم هذا .. كنت أعلم هذا .

وانعقد حاجبا (سلوى) فى شدة ، وهى تقول :

ـ ربّاه ! إننا نخترق سطح الجسم الكروى بالفعل .

أما (نور) ، فقد قال : بكل توتر الدنيا :

ـ سبق السيف العزل يا صديقى .. لقد أطلقنا موجات الجهاز بالفعل .

لم يكد (نور) ينطقها ، حتى هتفت (سلوى) فى رعب :

ـ يا إلهى ! انظر يا (نور) .. انظرى يا (نشوى) ..

لقد اخترقنا الجسم الكروى .. انظرا .. لقد التقط الجهاز نبضات القلب فى وضوح الآن :

قبل أن يلتفت كلاهما إلى شاشة الجهاز ، أتى صوت من الخارج ، عبر جهاز اتصال محدود ، يحمل نبرات قائد الطاقم ، وهو يهتف :

ـ عاصفة رملية تنقضّ علينا .. عاصفة رهيبة .

امتقع وجه الجنديين فى الداخل ، وانتفض جسد (نشوى) ، وهى تطلق صرخة رعب ، بلغت مسامع (أكرم) ، عبر جهاز الاتصال الخاص ، فصرخ :

ـ اصمدوا يا رفاق .. اصمدوا .. أنا فى طريقى إليكم .

لم يتلقَ جوابًا هذه المرة ، بعد أن انقطع الاتصال بغتة ، فصاح مذعورًا :

ـ (نور) .. (سلوى) .. (نشوى) .. أين أنتم ؟!

ومرة أخرى ، لم يتلق أى جواب ، فى حين هبّ الدكتور (كريم) من مقعده ، واتسعت عيناه فى ارتياع شديد ، وهو يلوّح بسبابته ، هاتفًا :

ـ انظر .. انظر .

وانتقل اتساع العينين إلى (أكرم) أيضًا ..

فبعيدًا ، فى نفس موضع المنطقة (ص) ، كانت هناك عاصفة رملية عاتية محدودة ، تحيط بكل شىء ..

كل شىء بلا استثناء ..

وبكل رعب الدنيا ، صرخ (أكرم) :

ـ لا .. ليس (نور) و(سلوى) و(نشوى) .. لا .

قالها ، وهو يتجه نحو العاصفة مباشرة ، فتعلّق الدكتور (كريم) بذراعه ، فى رعب هائل ، وهو يصرخ :

ـ لا .. استحلفك بالله ألاّ تلقىَ بنا إلى التهلكة .. تلك العاصفة تسحق كل شىء .. كل شىء بلا رحمة .

دفعه (أكرم) بعيدًا فى عنف ، هاتفًا :

ـ اصمت .. اصمت ..

ومال بالحوّامة نحو العاصفة مباشرةً ، هاتفًا :

ـ ليس هم يا إلهى .. ليس هم .. أرجوك .

كان يتجه نحو العاصفة العنيفة ، عندما توقّف كل شىء بغتةً ..

توقّف دفعة واحدة ، كما لو أنه لم يكن سوى خداع بصرى ، أو وهم خيالى ..

وفى لحظة واحدة ، استعادت المنطقة هدوءها وصمتها ..

واتسعت عينا (أكرم) فى رعب هائل .

لقد امتدَّت الصحراء أمامه ، فى المنطقة (ص) ..

ولم يكن هناك أثر لأية مدرعات أو معدات ..

أو بشر ..

لم يكن هناك أدنى أثر .

* * *

[انتهى الجزء الأول بحمد الله

ويليه الجزء الثانى بإذن الله]

(الرمال الحية)